

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة د. الطاهر مولاي. ولاية سعيدة



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية بعنوان:

مدخل إلى الفلسفة

دروس لطلبة: جذع مشترك علوم اجتماعية وإنسانية
السداسي الأول

إعداد الأستاذ:

شريف الدين بن دوبه

السنة الجامعية

2018-2017

فهرس المحتويات

5	مقدمة:
6	الفلسفة بين التعريف والمفهوم
6	مدخل:
7	مفهوم الفلسفة:
7	الدلالة اللغوية:
8	الفلسفة اصطلاحا:
10	طاليس:
11	سقراط:
12	أفلاطون
12	أرسطو
15	مباحث الفلسفة
15	الانطولوجيا: Ontologies
17	الغنوسولوجيا: Gnoséologie
18	المذهب الريبي
18	المذهب العقلاني
19	المذهب التجريبي
20	الحسية
20	الاسميون
23	المذهب البراغماتي
28	المذهب الوجودي
32	الاكسيولوجيا: Axiologie
36	خصائص الفلسفة
36	الشمولية
36	التجريد
37	الكلية
39	مناهج الفلسفة
39	مدخل
41	التفلسف كسؤال
42	التفلسف كدهشة
43	التفلسف حوار
44	التفلسف شك
44	منهجية التفلسف
44	التحليل:
45	التركيب:

46	علاقة الفلسفة بالعلوم الأخرى
46	الفلسفة والدين
54	الفلسفة والعلم
54	الموضوع العلمي
55	خصائص الموضوع العلمي
55	التراكمية
55	الموضوعية
55	التنظيم
56	القياس
56	الشمولية واليقين
56	الدقة والتجريد
56	المنهج العلمي
57	قيمة الفلسفة
58	موقف الشك في أهمية الفلسفة
58	موقف العامة
58	موقف البعض من رجال الدين
59	موقف الدفاع عن أهمية الفلسفة
61	وليم جيمس
62	برتراند راسل
63	خاتمة
69	قائمة المصادر والمراجع

مقدمة:

الفلسفة نمط معرفي متميز، يجعل من المنتوج الإنساني حقلاً تساؤلياً بغرض تحديد الماهيات، والاصول المرجعية لكل تمظهر ثقافي أبدعته أنامل الإنسان، والثقافة اجتماعياً لا تخرج عن صورتين: إبداع مادي يعكس القدرة والمهارة الانسانية في تمثيل المادة، وأنسنتها، ومنها العمران الذي يتجلى في البناءات واشكالها المتعددة، والتي تزامن تطورها مع سيرورة الفكر البشري في نموه ونضجه، فمن الكهوف والمغارات الى عالم العمارات المتطورة، كما تحضر التقنية كتعبير قوي عن البعد المادي في الثقافة الانسانية.

أما الشقّ المعنوي في الثقافة فيظهر في التجليات المعرفية، والعقدية التي تحكم الفكر والسلوك لجماعة بعينها، والتي تظهر في الانقياد الكلي لمجموعة الأفكار السائدة التي اصبحت بحكم العادة مؤسسة ذات سلطة متعالية على الافراد، والعرف الأخلاقي، الذي أصبح بحكم التاريخ قاعدة قانونية ملزمة للجميع.

والفلسفة من بين المظاهر الثقافية التي انتجها العقل البشري، حيث تظهر أهميتها في ارتباطها بالعقل كفاعلية ذهنية وسيكولوجية في انتاج الفكر الذي يمثل القاعدة الضرورية واللازمة لكل تقدم حضاري وثقافي، وسنحاول في هذه الدراسة تقديم المحتوى المعرفي والمنهجي للفلسفة التي اقترنت تاريخياً بكثير من الآراء والأحكام المتباينة التي بلغ البعض منها الى درجة الحكم بالزندقة والتكفير خصوصاً لدى مجتمعنا العربي و الاسلامي الذي اقرتف بابتعاده عن الفلسفة جريمة ثقافية بحق التراث، وبحق الأجيال.

والمأمل في هذا الجيل من الطلبة والباحثين بتجاوز الموروث الذهني والثقافي الذي حجب عن السابقين كل امكانية تقدم حضاري، وعلى الأخص الأحكام التي تستهجن التفكير النقدي و الفلسفي الذي ليس الا ممارسة عقلية في التفكير الحر، لأن: "طالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين، المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم، بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم، المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع الحجة والبرهان، لا قولَ القائل الذي هو إنسان، المخصوص في جبلُّته بضروب الخلل والنقصان،..." [الحسن بن الهيثم، الشكوك على بطلميوس، ص، ص: 3-4]. وفي هذه الدراسة نتغيا تقريب المعاني الانسانية التي تستبطنها الفلسفة كنمط معرفي نقدي متميز، ومحاولين في ذلك إزالة بعض من الالتباسات الذهنية التي توارثناها حول هذا الشكل المعرفي.

د. شريف الدين بن دويه. جامعة سعيده - الجمهورية الجزائرية 2018 م

الفلسفة بين التعريف والمفهوم

مدخل:

تعريف الفلسفة، والاجماع على معنى واحد ودقيق من القضايا الاختلافية بين الفلاسفة، والمشتغلين بها، فسؤال: ما الفلسفة؟ في حد ذاته سؤال فلسفي لا يملك إجابة دقيقة، تتغير المواقف في تحليله، وتعليقه، والإجابة الشرعية تقتضي الدخول في الفلسفة ومساكنتها، أي ممارسة التفكير الفلسفي، يقول هيدجر: "عندما نسأل: ما الفلسفة؟ آنذاك نتكلم عن الفلسفة لكن نبقي وكما هو ظاهر، في مكان خارج الفلسفة، والحال ان هدف سؤالنا هو على العكس: ولوج الفلسفة وايجاد اقامة فيها من اجل السلوك وفقا لها، أي التفلسف.."¹

كما أن الإجابة الممكنة تتعارض أيضا مع غائية التفلسف الذي يقوم على الاقرار بالبحث والتحري، والسعي نحو اقامة اللثام عن الحقيقة التي تبقى ممكنة، ومفتوحة، على قاعدة الوجود المستمر، وعليه يكون المؤشر الأول لكيثونة الفلسفة، ونديتها عن التعريف قائم على المصادرات التالية: يتميز التعريف بالدقة والتحديد الثابت للصفات الماهوية التي تفصل بين الموضوع الذي نحن بصدد تعريفه، وباقي المواضيع، فتعريف كتاب الفلسفة يقتضي تمييزه عن كتاب التاريخ وكتاب الفيزياء، وتعريفه أي ذكر وبيان الخصائص التي تفصل مفهومه عن مفهوم الكتب الأخرى، كما أن تعريف الفلسفة يعني الحصول على خصوصيات ثابتة لهذا النمط المعرفي، وتمييزه عن باقي أشكال المعارف الإنسانية، وهذا مستبعد بحكم طبيعة المعرفة الفلسفية، كعملية ونشاط أكثر من كونها موضوعا أو بناء للمعرفة، وتعريف النشاط أصعب دائما من تعريف الشيء المحدد المعالم .. كما يشكل الارتباط بين الفيلسوف وثقافته، عاملا من عوامل الصعوبة، لأن الفصل بين محيطه الثقافي ومنتوجه الفلسفي فصل اعتسافي، يبعدنا عن كل فهم للحقيقة الفلسفية.

¹ مارتن هيدجر، الفلسفة، الهوية والذات، ترجمة: محمد ميزان، مراجعة محمد سبيلا، منشورات الاختلاف، الطبعة الأولى بيروت 2015 ص: 11

والملاحظ على التعاطي الفلسفي مع المفهوم والتعريف انتهاج المسار الاشكالي حيث نجد عند كل فيلسوف او مشتغل بالفلسفة قراءة مميزة ينفرد بها، وعلى سبيل المثال نستأنس هنا بالقراءة الكانطية للفلسفة، حيث يميز بين المعارف العقلية والمعارف التاريخية، يقول: "المعارف العقلية هي على الضد من المعارف التاريخية. اذ الاولى تشتق من مبادئ في حين تشتق الثانية من معطيات.. بيد ان المعرفة قد تشتق من العقل وتكون مع ذلك تاريخية. ومثال ذلك مجرد المتعلم الذي يتعلم النتاج العقلي لغيره، فإن معرفته بهذا النتاج هي معرفة تاريخية فحسب"¹

مفهوم الفلسفة:

الدالة اللغوية:

الفلسفة كلمة يونانية، مركبة من فيلو: (الحب، والمحبة) وصوفيا : الحكمة ويكون معناها الاشتقائي: حب الحكمة، والسعي في طلب المعرفة، وطبيعة الرغبة في المعرفة: " .. هي ميله المفضل، والفهم هو هدف حياته غير ان الفيلسوف يختلف على الارجح عن كثير من أقرانه في درجة الفهم اللازمة لإرضائه، ذلك لأن معظم الازهان تكون على استعداد للاستقرار والاكتفاء إذا ما جمعت من المعرفة ما يكفي من مواجهة الحاجات العملية للحياة اليومية، او لجعل اصحاب هذه الازهان يشعرون بان لديهم على الاقل بعض الاستبصار بمعنى التجربة البشرية، اما الفيلسوف فلا يقنع بهدف متواضع كهذا وانما المعرفة عنده تعني المعرفة الشاملة او على الاقل المعرفة التي تكون شاملة بالقدر الذي تتيحه الحياة البشرية القصيرة، والحدود التي لا يتعداها الذهن البشري."²

والحكمة عند اليونان تدل على مهارة ونجد هذه الدلالة عند الشاعر هوميروس في الإلياذة، واستعملها هيرودوت في كتاب التاريخ المعروف باسمه للدلالة على حب الاطلاع .

¹ انظر: ايمانويل كانط، المنطق، ترجمة علي حرب مجلة الفكر العربي العدد: 48 السنة الثامنة اكتوبر 1978 الوارد في

سلسلة دفاتر فلسفية: التفكير الفلسفي، محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي ط 3 دار توبقال المغرب ص:37

² هنتر ميد، الفلسفة انواعها ومشكلاتها، ترجمة فؤاد زكريا، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية

الحكمة في اللغة العربية تشير: إلى النظر الصحيح، وإلى العمل المتقن، فهي تدل على ممارسة التفكير الدقيق القائم على البرهان، وعلى مزاولة العمل المتقن المحكم..¹

والحكمة لها مستويين: مستوى نظري: يشمل الحكم السديد والعلم الشامل ببواطن الأمور ومبادئها وعللها؛ ومستوى عملي أخلاقي يتجلى في الفضيلة والسلوك المسترشد بمبادئ أخلاقية.

وإذا كان الفيلسوف يدعو نفسه محبا للحكمة ، وينأى بنفسه عن أن يكون حكيما، ففي ذلك دلالة واضحة على التواضع المعرفي الذي يجعل الفلسفة بحثا عن المعرفة والحقيقة وسعي نحو الفضيلة وليست امتلاكا لهما.

الفلسفة اصطلاحا: □

في بداية البداية يجدر بنا التعرض الى المواقف المتباينة في التعاطي مع نحت المصطلح، ونلاحظ وجود موقفين في التاريخ للمصطلح، حيث نجد الاعتقاد لدى الموقف الأول من مؤرخي الفلسفة يذهب الى أن فيثاغورس كان أول من وضع مصطلح فلاسفة (محيي الحكمة)، وقد أطلق هذا اللفظ على أولئك الذين اقتصرنا على دراسة طبيعة الأشياء ، وتركوا ماعدا ذلك من ألوان المعرفة ولما شعروا بقصورهم وحدود معرفتهم لم يدعوا لأنفسهم اسم الحكماء ولا أطلقوا على معرفتهم اسم الحكمة وإنما هم سعوا إليها، وحاولوا قدر الطاقة بلوغها..² وسند هذه الرواية هم: هيراقليطس البنطي Héraclide de pont وديوجين لايرس، وسيسرون.

في حين يرى بعض الباحثين أن فيثاغورس اعتبر الفلسفة علما من العلوم وليس بحثا عن المعرفة، وسندهم في ذلك هرقلطس الذي ورد عنه قوله: "إن فيثاغورس كان أول من استعمل كلكمة الفلسفة بمعنى علم من العلوم"³ وهو التصور الذي يؤمن به المفكر كولبه حيث يستحسن الراي

¹ عمار الطالبي، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصبية للنشر، الجزائر 2006 ص: 13 (د.ط)

² عبد الرحمن بدوي، مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى 1975 ص: 07

³ ازفالد كولبه، المدخل الى الفلسفة، تع: ابو العلاء عفيفي، عالم الادب، الطبعة الاولى بيروت 2016 ص: 23

القائل بأن: "هيرودوت كان اول من استعمل كلمة يتفلسف بمعنى اصطلاحي، فإنه يحدثنا أن كريزوس قال لصولون انه سمع انه - أي : صولون - قد جاب كثيرا من الاقطار يتفلسف، وان الذي دفعه الى ذلك رغبته في المعرفة، فالعبارة "رغبته في المعرفة" تبدو كأنها تعبر عن كلمة يتفلسف أو مرادف لها، وكذلك يروي ثيوكديدس مشيرا الى هذا المعنى في رثاء بيركليس البديع الذي رثى به الاثينيين وقال فيه: نحن محبو الحكمة نحن نتفلسف من غير ان تكون فينا انوثة - يشير الى انهم ارباب عقول كما انهم ارباب شجاعة"¹.

ويعتقد البعض الآخر من مؤرخي الفلسفة أن سقراط هو الذي وضع المصطلح، إذ أن التمييز بين ادعاء الحكمة عند المدرسة السوفسطائية، وحب الحكمة عند سقراط يشير إلى المرجعية السقراطية للمصطلح، فالفلسفة هي محبة الحكمة وليس ادعاء أو امتلاكاً لها، وقد وردت في محاورات أفلاطون، بدلالة أخلاقية، أي محبة الحكمة الخلقية .

يمكن الاستئناس بالتحديد الذي حصر اندريه لالاند* فيه المعاني الاصطلاحية للفلسفة، والذي يصنفه الى ثلاث دلالات عرفها الاصطلاح في سيرورته التاريخية: "الفلسفة: معرفة عقلانية بالمعنى الأعم للكلمة وهو المعنى المتوارث عن ارسطو.. وهي: " كل مجموعة دراسات او اعتبارات تمثل درجة رفيعة من العمومية، وتنزع الى ردّ كل نظام معرفي او كل المعرفة البشرية الى عدد صغير من المبادئ الموجهة. فلسفة العلوم، التاريخ، الحقوق... و أيضا هي: " جملة الدراسات المتعلقة بالروح من حيث انه يتميز من اغراضه، ويتعارض مع الطبيعة"² ويستخلص لالاند من خلال هذه التعريفات ما يلي: "

¹ ازفالد كولبه ، مرجع سابق، ص:24

* اندريه لالاند:[1963/1867] فيلسوف فرنسي من ممثلي النزعة العقلانية الكانطية من مؤلفاته:العقل والمعايير...

² اندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل احمد خليل، منشورات عويدات، ط:2 بيروت، 2001 ص:980

1. الفلسفة دراسة نقدية، فكرية لمال تنظر فيه العلوم بمعناها الحقيقي: تبحث المعرفة في اصل معارفنا، في اصول اليقين ومبادئه، وتسعى لاختراق علة الوقائع التي يتناولها مبنى العلوم الوضعية "

2. دراسة الفكر من حيث تميزه بميزة الاحكام القيمية بهذا المعنى، يكون مركز الفلسفة المجموعة المكونة من العلوم المعيارية الاساسية الثلاثة: الاخلاقيات، الجماليات، والمنطق

1..

طاليس؛

يسجل تاريخ الفلسفة على أن طاليس أول فيلسوف، وفي تاريخ العلم يكون أول عالم على قاعدة التماهي الذي كان قائما بين البحث العلمي والفلسفي، وقد كانت الفلسفة عنده تتمثل في البحث عن علل الكون الأولى أي المصادر الأولى التي كوّنت العالم، وحسب يوسف كرم الحضور الفلسفي لطاليس يظهر في التعاطي الموضوعي مع الطبيعة: "أما أثره في الفلسفة فهو انه وضع المسألة الطبيعية وضعا نظريا بعد محاولات الشعراء واللاهوتيين، فشق للفلسفة طريقها، فبدأت باسمه، قال ان الماء هو المادة الاولى والجوهر الأوحد الذي تتكون منه الاشياء."²

يظهر الملمح الفلسفي عند طاليس في التجاوز، والنقد الذي تعاطى به مع المعتقدات السائدة، فالمتعارف عليه آنذاك التسليم بالقوى الخارقة، وتعددتها، فالمصادرة التالية: الماء اصل كل الأشياء تطرح معالم ثلاثة حسب نيتشه: "اولا لأن هذه الجملة تتناول بطريقة ما أصل الأشياء، ثم السبب الثاني، لأنها تتناوله بدون صورة وبمعزل من السرد الخيالي، واخيرا، السبب الثالث، لان هذه الجملة تتضمن ولو يشكل جنيني، فكرة ان الكل هو واحد ، وحسب السبب الأول، ما زال طليس ينتهي الى

¹ المصدر نفسه، ص: 981

² يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت (د.ط.ت) ص: 12

طائفة المفكرين الدينيين والخرافيين، ولكنه يخرج عن هذه الطائفة للسبب الثاني ويظهر لنا كمفكر في الطبيعة، اما السبب الثالث يجعل منه اول فيلسوف يوناني"¹

سقراط* :

من الاقوال المأثورة في تاريخ الفلسفة: "لقد انزل سقراط الفلسفة من السماء الى الارض" والذي ينسب الى سيسرون، والذي يشير الى التحول الذي حدث في مسار التفلسف، فبعد أن كانت الطبيعة محور البحث، أصبح الانسان باهتماماته، ومشاكله الموضوع الاثير عند الفيلسوف، "لقد جاء فلاسفة قبله: فلاسفة اقوياء مثل طاليس وهيرقليطس، وفلاسفة دهاة مثل بارمنيدس وزينون، وعرافون مثل فيثاغورس وامباذوقليس ولكنهم كانوا في الدرجة الاولى فلاسفة طبيعيين، لقد بحثوا عن طبيعة الاشياء الخارجية، عن قوانين واصول العلم المادي، لقد قال عن هذه الفلسفة انها حسنة، ولكن هناك فلسفة اجدر بالفلاسفة ان يدرسوها اكثر من جميع هذه الاشجار التي تملأ الطبيعة، وحتى اهم من هذه النجوم والكواكب، وهي عقل الانسان، ماهو الانسان؟ والى شيء سيتحول في المستقبل"²

وما يذكره التاريخ عن الفيلسوف سقراط هو البحث عن الحقيقة داخل الاعتقاد الدوجمائي، فالسؤال السقراطي كان موجها الى من يدعي المعرفة، وليس الى الجاهل بها، فالمعرفة في الأصل لا تطلب لذاتها، بل من اجل غايات اخلاقية وعملية: "فسقراط عندما سعى نفسه فيلسوفا أي محبا للحكمة، تميزا لنفسه عن طائفة السفسطائيين.. لم يكن غرضه الحقيقي الاعلاء من شأن طلب المعرفة لذات المعرفة، بل كان في الحقيقة يبدي ارتيابه في امكان الوصول الى معرفة يقينية او امكان الوصول الى معرفة على الاطلاق."³ "وعليه نجد ان الفلسفة عند سقراط معرفة مطلوبة لذات

¹ فريدريك نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي، تعريب سهيل القش، تقديم ميشال فوكو، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت ، 2005 ص: 46

* حكيم يوناني (469-399 ق.م) أستاذ افلاطون،

² ول ديورانت، قصة الفلسفة، فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، الطبعة السادسة بيروت، ، 1988 ص: 12

³ ازفالد كولبه، مرجع سابق، ص: 24

المعرفة، تميزها لها عن المعرفة المشروطة بمكاسب، ومطالب ذاتية او جماعية، فالأصل والمبدأ هو الذي يضيف الشرعية على المعرفة، فالقيمة الخلقية ليست في القصد بل في المبتدأ، ولهذا نجده في الأخلاق يطابق بين المعرفة والقيمة الخلقية. الفلسفة عند سقراط معرفة تهدف الى التهذيب والارتقاء بالأخلاق.

أفلاطون*

نجد عند افلاطون نموذجا من التعريفات التي تتأسس على الموضوع المبحوث، فهي بحث عن العلل القصوى الكامنة وراء ظواهر الأشياء، والذي ينكشف لنا من التقابل الموجود عند افلاطون بين عالم الحس، و عالم المثل المعقولات، فالمحسوسات ليست الا مدخلا للكشف عن العلاقات الموضوعية التي هي العلل الاولى.

أرسطو

يعتبر التصور الأرسطي للفلسفة من بين التصورات الرئيسة التي أثرت في كثير من تصورات الفلاسفة، الذي مانصه: " الفلسفة هي المعرفة العقلية والعلم بالمعنى الأعم " نلاحظ هذا الأثر في التصور الديكارتي الذي يقول فيه : " إن الفلسفة كلها بمثابة شجرة، جذورها الميتافيزيقا وجذعها الفيزياء، وغصونها المتفرعة عن هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى، وهي ترجع إلى ثلاثة رئيسية هي الطب، والميكانيكا، والأخلاق، واعني أسى أخلاق وأتمها، وهذه هي اعلي درجات الحكمة وتفترض معرفة كاملة بسائر العلوم "

مفاهيم أخرى للفلسفة :

(1) الفلسفة هي مجموع الدراسات أو التأملات ذات الطابع العام، التي تسعى إلى رد نظام من المعرفة أو المعرفة كلها إلى عدد صغير من المبادئ الموجهة ، وبهذا المعنى يقال : فلسفة العلوم ، فلسفة التاريخ، فلسفة القانون، وتصبح الفلسفة هي محاولة للتركيب الكلي وللنظرة الشاملة للكون، وهي ما

* فيلسوف يوناني (427-347 ق.م) من مؤلفاته: الجمهورية، القوانين، المحاورات..

يستخدم عليها البعض بالفلسفة المضافة مقابل الفلسفة بدلالاتها المطلقة التي: تبحث في الوجود وقضاياها كالفلسفة اليونانية، والقروسطية الإسلامية واللاتينية.

والفلسفة المضافة هي التي تضاف الى حقل معين، كان يكون واقعيًا مثل النفس، إذ تبحث عن حقيقة النفس، وتمظهراتها، وقد تضاف الى فيلسوف معين للتعبير عن نسقيته وتوجهه الفكري، كان نقول: فلسفة افلاطون، فلسفة ديكارت، فلسفة المشرق.... وقد تضاف الى امر معرفي وعلمي، ويكون المعنى بذلك البحث في فلسفة العلم وحقوقه المعرفية ومناهجه مثل: فلسفة الاخلاق، فلسفة الدين، فلسفة العلم.

(ج) الفلسفة هي الدراسة النقدية التأملية لما تبحث فيه العلوم مباشرة

يقول كورنو: إن الفلسفة تبحث في أصل معارفنا، وفي مبادئ اليقين، وتسعى للنفوذ إلى أسباب الوقائع التي يقوم عليها بناء العلوم الوضعية.

(د) الفلسفة هي الدراسة المتعلقة بأحكام القيم، فهي تتألف من العلوم المعيارية الثلاثة الأخلاق

والمنطق والجمال

(هـ) الفلسفة هي ما بعد الطبيعة أو هي العلم الخاص بالشروط القبلية للوجود وللحق، وبالعقل

وبما هو عقلي كلي، و علم الفكر في ذاته وفي الأشياء.

وفي فذلكة القول نستأنس بالتصور الكانطي الذي جاء فيه: "الفلسفة هي نسق المعارف

الفلسفية أو المعارف العقلية القائمة على التصورات - هذا هو المعنى المدرسي لهذا العلم - أما معناه

الكوني، فهو العلم بالغايات الاخيرة للعقل الانساني وهذا المفهوم السامي هو الذي يمنح الفلسفة

كرامتها أي قيمتها المطلقة. وبالفعل فإن الفلسفة هي العلم الاوحد الذي لا يستمد قيمته الا من ذاته

والذي يمنح اصلا سائر العلوم قيمتها.¹

¹ ايمانويل كانط، المنطق، ترجمة علي حرب مجلة الفكر العربي العدد 48 السنة الثامنة اكتوبر 1978 الوارد في سلسلة دفاتر فلسفية: التفكير الفلسفي، محمد سبيلا، عبد السلام بنعبد العالي ط 3 دار توبقال المغرب ص.ص: 38-39

مباحث الفلسفة:

تتفرد كل معرفة بموضوعها، ومنهجها، والحكم ينطبق على الفلسفة أيضا، فهي تتميز بمجال بحثها، الذي يتسم بالشمولية والاتساع، فهو لا يقتصر على جزئية بعينها مثل العلوم الطبيعية، بل هي عامة، والتصنيف الكلاسيكي لمباحثها، يحصر الحقول البحثية الفلسفية في ثلاث مجالات معرفية، تنحل كل واحدة الى مجموعة معارف جزئية، تهدف الى بلوغ حقيقة مطلقة ومتعالية يشغل عليها الفيلسوف.

الانطولوجيا: Ontologies

الانطولوجيا علم بالوجود، وليس الوجود، فالوجود بدلالاته المتعددة وجود مستقل قد يكون فيزيائيا، وقد يكون ذهنيا، والعلم به هو الاحاطة بطبيعته، وحقيقته، لهذا تندرج الانطولوجيا ضمن المنظومة المعرفية للفلسفة، فهي اي الانطولوجيا جوهر الفلسفة، وموضوعها الاثير، وحيانا يطابق البعض بينها وبين الميتافيزيقا. وبين المعرفة ايضا، إذ نلاحظ ذلك في الفلسفة الحديثة التي ادمجت الانطولوجية ضمن منظومة المعرفة، يقول توفيق الطويل: "ومن المؤرخين من وحد بين ما بعد الطبيعة ونظرية المعرفة(الابستمولوجيا) لأن فلسفة المحدثين كانت على عكس الفلسفة القديمة تتناول مشكلة الوجود من خلال المعرفة، فهي كما تبدوا عند لوك و كانط ومن الهما من المحدثين نظرية المعرفة باعتبارها أساس للوجود، فإن الاتصال بين المشكلة الوجودية والمشكلة الابستمولوجية وثيق لان البحث في قدرتنا على معرفة الاشياء يسلمنا توا الى البحث عن مقومات الوجود وماهية الحقيقة"¹

¹ توفيق الطويل، اسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، ص:165

ويعتبر كريستيان فون فولف* [Christian Freiherr von Wolff] اول من استعمل مصطلح الانطولوجيا في كتاباته، وهي - الانطولوجيا: " .. قسم من الفلسفة يبحث في الوجود في ذاته مستقلا عن احواله وظواهره، او علم الوجود من حيث هوم موجود..."¹

الوجود في الذهن البشري مسألة بديهية لا تحتاج الى برهنة ونقاش، والتعاطي مع سؤال الوجود حاضر عند جميع الشرائح الاجتماعية، فالإنسان العامي يتساءل عن اصل الوجود وغاياته مثلما يحاول الفيلسوف دراسته والتعليل لنظريته والنتائج التي توصل اليها، ويمكن حصر اسئلة الوجود في الاشكالات التالية: " ما الوجود وما طبيعته؟ هل هو التحقق والكينونة والثبوت؟ هل يتحقق في الذهن ام في الواقع؟ وهل يتحقق عند جميع الموجودات بنفس الدرجة؟ هل هناك وجود مطلق ام وجود نسبي؟ ها نتحدث عن وجود الله كما نتحدث عن وجود الانسان؟ هل اتحقق من وجود غيري كما اعين وجودي؟ هل انا موجود حقا، وما علامات هذا الوجود المتحقق؟ هل اعرف اني موجود؟ واعرف كذلك وجود غيري؟ وهل المعرفة سبيلنا للتأكد من الوجود؟ هل الوجود اسبق من المعرفة؟ ام المعرفة اسبق من الوجود؟"²

□

* فيلسوف الماني ولد سنة 1679 من تلامذة ليبنتز

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج2 دار الكتاب اللبناني 1982 بيروت ص: 560

² محمود قاسم، مدخل الى الفلسفة، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الاولى 2001 ص.ص: 134/135

الغنوسولوجيا: Gnoséologie

المعرفة من المسائل الفلسفية التي بحث فيها جل الفلاسفة عبر التاريخ، وهي تتقاطع مع الفضول المعرفي، او حب الاطلاع عند الحيوان، والانسان أيضا، فتعريف الانسان بانه كائن يريد المعرفة، لا يقصد به الفضول فقط بل البحث عن ماهيات الأشياء وحقائقها، والتي تضع المعرفة بذلك ضمن حقول الميتافيزيقا التي تتعاطى معها.

وتعتبر الابستمولوجيا من بين الفروع المعرفية التي تتجاوز مع نظرية المعرفة الغنوسولوجيا في كثير من اللحاظ، أهمها المعرفة ذاتها، وإن كان المسار التاريخي للابستمولوجيا قد ميزها عن المعرفة، يقول الجابري: "إذا كان الاتصال هو المظهر البارز - بين المعرفة والابستمولوجيا - على صعيد التحليل الفلسفي المجرد، فإن الواقع التاريخي واقع تطور العلوم، قد فرض نوعا من الانفصال بينهما، نوعا من القطيعة الابستمولوجية... التي تبلورت مع بداية هذا القرن، ان اصبحت الابستمولوجيا من اختصاص العلماء، بينما بقيت نظرية المعرفة بمشاكلها التقليدية من مشاغل الفلاسفة ودارسي الفلسفة"¹

تعددت الرؤى والاتجاهات في الجواب عن اسئلة المعرفة التي طرحها الانسان قديما، ولازالت تطرح لحد الساعة، فكان التعدد المصير الحتمي للأنساق الفلسفية، في مضمون وشكل الاجابة، و السؤال الرئيس في نظرية المعرفة يتحدد في الصورة التالية : هل بإمكان الانسان اين يبلغ الحقيقة، فالبعض الذي اعتقد في امكان بلوغها هم الوثوقيين، من امثال العقلانيين، والتجريبيين، والبعض الاخر شك في هذه الامكانية، وسلّم بان العقل البشري محدود، بطبيعته، وغير قادر على معرفة الحقيقة، وهم الشكاك، او المدرسة الريبية.

¹ الجابري، محمد عابد، مدخل الى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، الطبعة الخامسة، 2002

المذهب الريبي:

اتجاه في الفلسفة الغربية شك في امكانية المعرفة، وبلوغ الحقيقة، والتسليم بغيابه في الفكر الاسلامي راجع لطبيعة الثقافة، والاصول الفكرية التي ميزت الاسلام، وحسب الاستاذ محمود يعقوبي:" ليس للمذهب الريبي ممثلوه في الفكر الاسلامي ، لأن العقيدة الاسلامية من حيث هي قاعدة قامت عليها اراء المتكلمين والفلاسفة والمتصوفين لم تترك مجالاً للشك والارتياب ينبت فيه ويترعز ولهذا جاء الفكر الاسلامي من حيث صدوره عن العقيدة الاسلامية وخلوا من مواقف الشك المطلق الذي ينفي امكان المعرفة وبجميع انواعها."¹

المذهب العقلاني:

يُطلق هذا الاسم، على كل نزعة فكرية تقدر العقل، وتجعل منه المصدر الأول لنهل المعرفة، والأداة الأساسية التي تحرك كل المراحل المنطقية التي يسير عليها الاستدلال، والمقياس الفصل في تقدير القيم كالخير والصواب، ولهذا، فهذه النزعة تطلق على أنحاء شتى ومجالات متنوعة، في مجالات اللاهوت وفي نظرية المعرفة وفي الأخلاق، وهي أيضا نزعة تتعارض مع اللاعقلانية، وتعتمد بشكل رئيس آليات عقلية: كالبداهة والبرهنة والاستدلال.

وتجدر الإشارة إلى أن مؤرخي الفلسفة في القرن التاسع عشر، اعتبروا القرنين السابع عشر والثامن عشر عصر الجدل بين العقلانيين والتجريبيين، ففي مذهب فكري يقول بأولية العقل وأن جميع المعارف تنشأ عن المبادئ العقلية القبلية والضرورية الموجودة فيه، والتي ليست متولدة من الحس أو التجربة، أما التجربة فهي بديل للعقل أدنى منه مرتبة، وأن المعتقدات التي تقوم عليها وعلى الخبرة مشوبة بالخطأ.

¹ محمود يعقوبي، خلاصة الميتافيزيقا، دار الكتاب الحديث، الجزائر 2015 ص: 69

ويعتبر بارمنيديس رائد المدرسة الايلية (نسبة إلى جزيرة إيليا) من بين الفلاسفة الأوائل الذين جعلوا من العقل مبدأ أول للمعارف، ومقياسا رئيسا للحقائق، إذ يقول: " تنكب بعقلك عن هذا الطريق، ولا تترك اعتيادك على مختلف التجارب يجبرك على أن تسير في هذا الطريق بعيون لا تبصر، وأذان لا تسمع، وبكلام غير مهذب بل عليك بالعقل الفصل في أمر الخلاف الذي سبق الحديث عنه".¹

ويقوم المذهب العقلي على مسلمات هي :

الأصل الأول للعلم الإنساني ومصدره الأسبق، هو العقل، وليس التجربة، فالمعارف التي يملكها الإنسان ترتد في نهاية الأمر، إلى منبع أول وواحد هو العقل، أما التجربة في معناها الحسي والعلمي، فتعتبر حلقة ضمن السلسلة، ولهذه المصادر، مسلمات جزئية أربع، وهي:

1. ترتد المعرفة الحقيقية إلى العقل الذي هو قوة فطرية مشتركة بين الجميع.
2. والعقل يتضمن الحقائق الحدسية التي لا تقبل البرهنة
3. هذه الحقائق التي يحكم بها العقل، كلية صادقة صدقا ضروريا، وسابقة لكل تجربة، لا يتطرق إليها الشك، ومنها يستنبط العقل النتائج التي تلزم عنها، وبهذا تتشكل المعرفة اليقينية التي تصدق في كل زمان ومكان.
4. وهذه الحقائق أو المبادئ العقلية الكلية ليست حكرا على المعرفة مجردة كانت أو مادية؛ فمنها يستمد الفيلسوف الأخلاقي قواعده الأولى، ومنها يستلهم المرشدون والمربون والناس العاديون مقاصدهم السلوكية، بدون أدنى بحث عن برهان، لأنها واضحة.

المذهب التجريبي؛

المذهب التجريبي من حيث الاسم اتجاه أو وجهة نظرتعتمد التجربة كمقياس ومبدأ للحقائق، و هم فرقا فكرية، أهمها:

¹ محمود يعقوبي، خلاصة الميتافيزيقا فلسفة المعرفة، دار الكتاب الحديث الجزائر- 2002 ص: 117

الحسية:

ومن روادها: هيراقليط - بروتاغوراس - ابيقور . و المذهب الحسي صورة أولية للمذهب التجريبي إذ يؤكد الأستاذ محمود يعقوبي أن إرهاباته الأولى وجدت في آراء هيراقليط الذي كان يرى بالاعتماد على المعطيات الحسية أن كل شيء يتحول و لاشيء يبقى على حالة واحدة¹. وقد بدأت التجريبية في مفهومها التقليدي مع فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر، أمثال بيكون وجون لوك، وهيوم؛ واستمرت في مفهومها الجديد مع النفعيين والتطوريين وأصحاب الوضعية المنطقية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

الاسميون :

المذهب الاسمي هو اتجاه يعتقد انه لا يوجد في الذهن ماهيات مجردة تعبر عنها الأسماء الكلية ، بل ان هذه الأسماء العامة الكلية لا تشير إلى ماهيات في الأذهان ، بل إلى أفراد عينية توجد في الأعيان هي موضوعات التجربة الحسية² ومنهم: وليام الاوكامي [1270 - 1347]

فرانسيس باكون*

فيلسوف انجليزي عرف بنزعتة التجريبية ، أسس لمنطق جديد عرف بالمنطق الاستقرائي، له كتاب الاورغانون الجديد، وضع فيه قواعد الاستقراء كبديل للمنطق الصوري الأرسطي، وكتاب اطلنطس الجديدة الذي يصنف في منظومة الكتب الطوباوية.

¹ محمود يعقوبي، خلاصة الميتافيزيقا (فلسفة المعرفة) ، دارالكتاب الحديث، الجزائر 2002 ص: 97 (د.ط)

² المرجع السابق ، ص 97

* Francis Bacon باكون: 1561/ 1626 :

جون لوك*

فيلسوف وطبيب انجليزي، ومفكر سياسي، له مؤلفات عديدة منها: مقال حول الفهم البشري، رسالة في التسامح، وهي مترجمة إلى العربية¹، رسالتان في الحكم المدني، عرف بأسلوبه ونزعتة التجريبية في تفسير الظواهر الإنسانية ومنها ظاهرة المعرفة.

دافيد هيوم*

فيلسوف انجليزي، بدأ مؤرخاً ثم اتجه بكتاباتة نحو الفلسفة والأخلاق، كانت كتاباته حول الفهم البشري، وأسلوب التعاطي معه خطوة في تأسيس الحجر الأساس للدراسة العلمية للظاهرة الإنسانية.

يقوم المذهب التجريبي على مسلمة واحدة، نصها المصدر الجوهري الأسبق لكل أنواع المعرفة، هو التجربة، وهي مسلمة تتفرع إلى جزأين:

نقدي: يتم فيه استبعاد المذهب العقلاني من أصوله العقل لا يستطيع أن ينشئ بالفطرة، المعاني والتصورات، وليست له القدرة على خلع صفة الصدق على ما يبتدعه من معرفة.

تأسيسي: يتم فيه بناء المذهب التجريبي. والعلم في كل صورته، يرتد إلى التجربة... يقول هيوم: لا شيء من الأفكار " يستطيع أن يحقق لنفسه ظهوراً في العقل ما لم يكن قد سبقته ومهدت له الطريق انطباعات مقابلة له"².

* فيلسوف انجليزي [1704/1632]

¹ هناك ترجمتين لرسالة التسامح ترجمة عبد الرحمن بدوي، وترجمة منى ابوسنة

* فيلسوف انجليزي: 1711- 1776

² -رسالة في الطبيعة، عن زكي نجيب محمود، دفيد هيوم، ص، 181

يقول هيوم : الفكرة ليست سوى "نسخة من انطباع مماثل" بحيث "لم تتعدَّ القدرة الخلاقة التي يقرب وجودها أهل العقل، أكثر من أن تكون ملكة تتولى عملية تركيب وتنقيح وتخفيف المواد التي توفرها لنا الحواس والتجربة"، ويقسم هيوم الإدراكات العقلية إلى قسمين:

1. الانطباعات: وهي إدراكات أكثر وضوح وأقوى أكثر.

2. الأفكار: وهي إدراكات أقل وضوح وأضعف أثر.

و سواء تعلق الأمر بالانطباعات أو الأفكار، فإن لهما نفس المصدر هو الخبرة الحسية، وما الاختلاف الموجود بينهما إلا في درجة الوضوح وقوة الأثر، يقول هيوم: "وهكذا تكون كافة أفكارنا التي هي إدراكات خافتة، صورا تحاكي انطباعاتنا التي هي إدراكات ناصعة". و يقسم هيوم الأفكار إلى نوعين؛ بسيطة ومركبة.

الأفكار البسيطة تلك التي لا يمكن تحليلها، أما المركبة فهي ما يمكن تحليلها إلى عناصر جزئية أبسط منها، ففكرتي عن لون البرتقالة، أو طعمها، أو رائحتها مثلا، هو من الأفكار المباشرة الصادرة عن انطباعاتنا الحسية، وهذه الانطباعات الجزئية هي التي سيؤلف الذهن بينها فيما بعد ليكون فكرة البرتقالة كفكرة مركبة.

المبدأ الأساسي في فلسفة هيوم هو التالي: كل فكرة صحيحة ومشروعة لا بد أن تجد مصدرا لها في الخبرة المباشرة وإلا فهي زائفة، وانطلاقا من نزعتة التجريبية، يرجع أصل كل الأفكار، مهما بلغت من الإغراق في التجريد، إلى الخبرة الحسية، وما لا يرجع من الأفكار إليها فهي باطلة ولا أساس لها من الصحة.

ومن المبادئ الأساسية التي تركز عليها فلسفة هيوم هو قوله بمبدأ "ترابط الأفكار": ومفاده أن أفكارنا مترابطة، بحيث أن الواحدة منها تستدعي الأخرى في نوع من الانتظام والاطراد. . يقول هيوم: يبدو لي أن ثمة مبادئ ثلاثة فقط يجري بمقتضاها الترابط بين الأفكار وهي: التشابه، والتجاور في زمن الوقوع أو مكانه، والعللة والمعلول.

و يميز دفيد هيوم بين ثلاثة درجات في وضوح الأفكار :

. هناك أفكار أكثر وضوح ونصاعة هي تلك الناتجة عن انطباعات حسية في لحظة وقوعها، وهناك أفكار أقل وضوح نظرا لتباعدها الزمني عن الانطباع الأولي الأصلي، بينما نجد أفكارا أخرى غامضة وخافتة نظرا لتباعدها الشديد عن الانطباع الحسي الأولي التي كانت مصدرا له، وهذا النوع الأخير من الأفكار هو الذي ننعتة بالخيال، أما الأفكار من النوع الوسط فنسميها ذاكرة.

. الآثار الحسية هي المرجع الأخير الذي نقيس به صحة الأفكار وحقيقتها؛ فإذا استطعنا أن نرجع الفكرة إلى أصلها الحسي كانت صادقة، وإلا فهي وهم واختلاق من العقل؛ وليس لها أصل مما تلقته حواسنا من آثار.. فحقا إن هناك أفكارا مركبة لا تماثل الآثار الحسية، ولكن لو حللناها ألفيناها مكونة من عدد من الأفكار البسيطة التي تنشأ من الحواس مباشرة، وعلى ذلك تكون تلك الأفكار المركبة صحيحة، وما دامت الأفكار تتبع آثار الحواس، وهذه الآثار الحسية لا تكون إلا في تجارب الحياة، فليس ثمة إذن، أفكار مفطور عليها العقل منذ ولادته على الإطلاق

المذهب البراغماتي؛

البراغماتية اسم مشتق من اللفظ اليوناني براغما (pragma) ومعناه العمل ..وهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح، فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة ، أي الفكرة التي تحققها التجربة ، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق ، ولا يقاس صدق قضية إلا بنتائجه العملية .1 ونشأت الذرائعية (البرجماتية) كمذهب عملي في الولايات المتحدة الأمريكية مع بداية القرن العشرين: وقد وجدت في النظام الرأسمالي الحر الذي يقوم على المنافسة الفردية، فضاءا خصبا نمت وترعرعت فيه، والقاسم المشترك بين الاتجاهات في المذهب البراغماتي يظهر فيما يلي:

¹ جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج 1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 ص 203

1. رفض الفلسفات التقليدية المجردة التي ليست في خدمة الحياة؛
 2. تأسيس فلسفة عملية قوامها، أن المعرفة ذات علاقة كبيرة بالتجربة الإنسانية وما هي إلا وسيلة للعمل و النشاط و بالتالي، فإن أية فكرة لا تكون صحيحة إلا إذا نجحت عملياً، وأراحت صاحبها عملياً كذلك.
 3. يرتبط التفكير دائماً بالسلوك و العمل، فهو يتجه إلى فهم الأوضاع المحيطة بنا، لاتخاذ موقف مناسب يسعفنا في حياتنا .
 4. كل موضوع هو مجرد وسيلة لتحقيق أغراض الإنسان النظرية منها و العملية - الحياة كلها عند جون ديوي " توافق بين الفرد و البيئة "
- ومن أبرز رموز المذهب البراغماتي : بيرس، وجيمس، وجود ديوي ، وشيلر.

تشارلس بيرس 1839 – 1914م

يعد مبتكر كلمة البرجماتية في الفلسفة المعاصرة. عمل محاضراً في جامعة هارفارد الأمريكية، وكان متأثراً بدارون ووصل إلى مثل آرائه.. وكان أثره عميقاً في الفلاسفة الأمريكيين الذين سنذكرهم فيما يلي:

وليم جيمس 1842 – 1910م

عالم نفسي وفيلسوف أمريكي من أصل سويدي بنى مذهب الذرائعية البرجماتية على أفكار بيرس، ومن آثاره: مبادئ علم النفس 1890م، موجز علم النفس 1892م، وإرادة الاعتقاد 1897م وأنواع التجربة الدينية 1902م والبرجماتية 1907م، كون متكثّر 1909م يعارض فيه وحدة الوجود. ويؤكد جيمس في كتبه الدينية أن الاعتقاد الديني صحيح لأنه ينظم حياة الناس ويبعث فيهم الطاقة، ومسلمات البراغماتية عند وليم جيمس تتحدد فيمايلي:

1. الحقيقي هو ماينجح، وهو المفيد، وهو النافع

2. المفيد في ميدان التجربة الفيزيائية هو ما يمكّن من التنبؤ ومن العمل، ومن التأثير والإنتاج.

3. المفيد في ميدان التجربة النفسانية أو العقلية هو المفيد للفكر، وما يزودنا بالشعور بالمعقولة ، والشعور بالراحة والسلام .

4. المفيد في التجربة الدينية هو النجاح الروحي أي تحقيق الاطمئنان والسلوى ، وما أعان على تحمل تجارب الحياة ، وسما بالإنسان فوق نفسه .

جون ديوي 1856 – 1952م

فيلسوف أمريكي، تأثر بالفلسفة الذرائعية، وكان له تأثير واسع في المجتمع الأمريكي وغيره من المجتمعات الغربية، إذ كان يعتقد أن الفلسفة، مهمة إنسانية قلباً وقالباً وعلينا أن نحكم عليها في ضوء تأثيرها الاجتماعي أو الثقافي.

كتب في فلسفة ما بعد الطبيعة (الميتافيزيقا)، وفلسفة العلوم والمنطق وعلم النفس وعلم الجمال والدين، وأهم مؤلفاته: دراسات في النظرية المنطقية 1903م، وكيف تفكر 1910 والعقل الخالق 1917م والطبيعة الإنسانية والسلوك 1922م وطلب اليقين 1929م، ومسلمات البراغماتية عند ديوي هي:

1. إن التفكير يتبع الكفاح ، والفعل يتبع التفكير .
2. لا يبدأ التفكير إلا حيث توجد مشكلة أو شك، فهو لا يوجد إلا حيث تكون هناك حاجة ومناسبة تدعو إليه ، ومقياس نجاحه هو في الدرجة التي بها يتغلب على المشكلة أو يبدد الشك والحيرة .
3. التفكير ليس عشوائياً وبلا هدف، فالتأمل لا ينمو فقط من مجرد الحاجة أو الإشكال، بل يميل دائماً إلى الإشكال والحاجة والحاجة إلى حل مشكلة هي العامل المرشد دائماً

في عملية التفكير. إن طبيعة المشكلة هي التي تحدد غاية التفكير ، والغاية تضبط عملية التفكير

4. الوظيفة الأولى للتفكير هي حل المشكلة التي نواجهها، وإيضاح الغموض والاختلاط ونحن نتوقف عن التفكير إذا ما حلت هذه المشكلة، ولن نفكر بعد أو نستأنف التفكير إلا إذا عرضت لنا مشكلة جديدة

5. الأفكار إذن هي أدوات ننجز بها بعض النتائج المرغوب فيها ، إنها تساعدنا على أن نعمل شيئاً، أو نفعل على وجه أفضل، أو أكثر ذكاءً، أو أقرب إلى النجاح خيراً مما لو كنا نعتمد على الغريزة أو الاندفاع وحدهما.

شيلر 1864 – 1937م

فيلسوف بريطاني، كان صديقاً لوليم جيمس، وتعاطف معه في فلسفة الذرائعية: وقد أثر أن يطلق على آرائه وموقفه: المذهب الإنساني أو المذهب الإرادي.

حافظ شيلر على مبدأ جيمس بالحكم على قيمة المعرفة من خلال منفعتها، وبما أن الإنسان هو الحكم على هذه المنفعة فإن شيلر يعطيه مكان الصدارة في التفلسف بحيث يشارك فيه بحسه وعقله و ادراكاته وحتى بوجوده، ويعتبر الإنسان المركز الكامل للعالم الفكري، جامعاً بذلك بين اكيولوجية بروتاغوراس القائلة بان الإنسان هو المرجع في الأمور جميعها وبين تشاؤمية نيتشه القائلة بان الإنسان هو حيوان لن نصل يوماً إلى فهمه وانطلاقاً من أهمية الإنسان في هذه النظرة اعتبر شيلر أن مذهبه هو "المذهب الإنساني للبراغماتية"، وبهذا فهو يسمح لنفسه باستبدال أحكام "الوجود" بأحكام "القيمة"، وهكذا تتحول الحقيقة إلى مجرد أداة للعمل بعد أن فقدت إطلاقيتها وتجريدتها وهي لا تصبح واقعة إلا بفعل الإنسان فيها. ومسلمات البراغماتية عنده هي:

1. يجب احترام جميع المعتقدات حتى ما يبدو لنا منها باطلاً، شرط أن يكون أصحابها

صادقين ومخلصين لها.

2. الابتعاد عن مواقف التمذهب والانحياز، وعن مواقف العنصرية والتمييز وتجنبها.و

اعتماد قيم التسامح والشمولية الإنسانية.

3. تجاوز الاعتقادات الضمنية التي لا نجاهر بها ولا نناقشها، و لاعتقادات الجدالية

والتي تكون غير مستقرة لكننا نسلم بها عن بينة.

المذهب الوجودي:

الوجودية فكر فلسفي ظهر في بداية القرن السابع عشر كرد فعل للطوق الذي وضعته فلسفات التقليدية والميتافيزيقية والأديان والقيم الاجتماعية على الإنسان وحرمانه من حريته الحقيقية التي ترافقه منذ لحظة ولادته في هذا العالم ، حيث جعلت هذه الفلسفات من تطور الحياة وتقدمها في حركة بطيئة ومعقدة عبر محاولات لا نهاية لها من المحاولات، وتقوم على مسلمات :

ينكر التفكير الوجودي، كل جهد يحاول إيجاد الحقيقة داخل التصورات العقلية، أو يحاول حصر الحقيقة ووضعها في نسق محكم البنين أو بناء منطقي ضروري، أو في مذهب مترابط الأركان .
ظلت الوجودية دون مذهب عام واحد ينتهي إليه سائر فلاسفتها ، ولأجل هذا كثيرا ما وصفت الفلسفة بأنها نمط من التفلسف .

أهم خاصية تميز هذا النمط من التفلسف هي انه يبدأ من الإنسان ولا يبدأ من الطبيعة ، انه فلسفة للذات *Subject* أكثر منه فلسفة للموضوع *Object* فالذات هي التي توجد أولا ... والذات التي يهتم بها الوجوديون ليست هي الذات المفكرة ، بل هي الذات الفاعلة ...الذات التي تكون مركزا للشعور ...الذات هي التي تدرك مباشرة وعينيا في فعل الوجود المشخص .

يبدو هذا النمط من التفلسف أحيانا انه مضاد للنزعة العقلية ، فالوجود تعتمره العاطفة ، ويغمره الوجود الإنساني المشخص، في هذا المعنى كتب Miguel de Unamuno يقول " أن الفلسفة هي نتاج إنسانية كل فيلسوف، وكل فيلسوف هو إنسان من لحم و عظم، ويقدم نفسه لانا ساخرين من لحم وعظم مثله ، و علينا أن نترك الفيلسوف يفعل ما يريد ، بكل مشاعره ، بلحمه و عظامه، بكل روحه وكل جسدهانه إنسان يتفلسف"

يبدأ من الإنسان باعتباره موجودا أكثر من اعتباره مفكرا، وانه في تأكيد هذا على الوجود أكثر من الفكر يتضمن انه لا يبدأ بدراسة طبيعة أو ماهية الإنسان ثم يستنبط من دراسته هذه ما يشاء ،

فلقد كتب سارتر يقول " إن وجود الإنسان سابق على ماهيته " ثم يفسر ماهيته فيما بعد بواسطته هو ، الذي يصنع نفسه "

الذات التي يبحثها الوجودي، ليست ذاتا استاتيكية، بل هي ذات مستغرقة في كفاح ونضال مستمرين .

إن الحقيقة الوحيدة التي يمكن أن يكون لها مطلق اليقين هي وجود ذاتي الفردية وهذه الحقيقة لا يمكن أن تكون يقينية بالنسبة لأي ذات أخرى.

فلاسفة المذهب :

سورين كيركفارد (1813-1855) :

فيلسوف دانماركي، يعتبر الأب الحقيقي للفلسفة الوجودية، يقال كان تلميذا للفيلسوف (فريدريك هيغل) في مراحل الأولى من عمره، لكنه ثار فيما بعد على فلسفته النظرية.

نيكولا برديانيف (1874-1948) :

أولى أهمية كبيرة إلى الفرد أيضا، الذي يحقق مصيره ووجوده بإرادته ، ويصر على أنها من واجبات الفرد المقدسة ليكتشف كنه ذاته ويوظف طاقاته لكي يرفع ذاته إلى درجة فوق البشرية.

كارل ياسبرز (1883-1969) :

ألماني الجنسية ، في البداية رفض لقب فيلسوف وجودي ، كان طبيبا في سنة 1933 اصدر كتابه في ثلاث مجلدات بعنوان (الفلسفة) كتب الكثير في موضوع الوجودية لا بلغة الإلحاد وإنما بطريقة كيركفارد.

غبريل مارسيل (1889-1969)

فرنسي الجنسية، يعتقد إن تسامي الفرد على ذاته هو أساس وجوده، خصوصا إذا كان

التسامي نحو الله

مسلمات الوجودية :

تتميز الوجودية بميلها إلى الوجود، فهي لا تبالي بماهيات الأشياء وجواهرها، كما لا تبالي بما

يسمى بالوجود الممكن ، والصور الذهنية المجردة

إنها فلسفة الأشياء الملموسة، الأشياء التي تقع عليها أنظارنا ، وتلمسها أيدينا ، أو نتصل بها

بنوع من أنواع الاتصال المادي.

تتيح الوجودية للأفكار إمكانية الظهور بينما تكون محتفظة بحرارتها الأساسية الأولى .

يقول كيركيغارد: بدلا من أن يقبل الفكر التجريدي على إدراك الواقع المادي عن طريق تجريده،

فإن المفكر الوجودي الذاتي يحاول أن يدرك المجرد عن طريق تجسيمه، فالحقيقة ذاتية والذاتية هي

الحقيقة¹

إن وجود الحقيقة له تكراره في ذاتك، في ذاتي، في ذاته، حتى إن حياتك، وحياتي ، وحياته هي

وجود الحقيقة بالقدر الذي به تقترب منها ، وبعبارة أخرى . أنا لا اعرف الحقيقة غلا حين تصبح حياة

في ذاتي ..

. الحقيقة هي فعل الحرية.

. الحقيقة لا توجد للفرد إلا من حيث ما أنتج بفعله شيئا .

الخصائص العامة للمذهب الوجودي

يقول المرحوم د عبد الرحمن بدوي:

¹ عبد الرحمن بدوي ، مدخل جديد إلى الفلسفة ، ص 149

. الوجودية بكل معانيها تتفق في القول بأن الوجود يسبق الماهية، فماهية الكائن هي ما يحققه

فعلا عن طريق وجوده، ولهذا هو يوجد أولا ثم تتحدد ماهيته ابتداء من وجوده.

الوجود الإنساني في المقام الأول ويقابل الوجود الطبيعي الذي هو وجود أدوات فحسب، وفي أن

هذا الوجود متناه وسرالتناهي فيه، هو دخول الزمان في تركيبه..

الإنسان الحر يختار، و في اختياره يقرر نقصانه لأنه لا يملك تحقيق الممكنات كلها، و الذات

الوجودية تسعى بين الإمكان وبين الواقع، وهو الوجود في العالم، و الذات تعلو على نفسها بأن تنتقل

من الممكن إلى الواقع، فتحقق ما ينطوي عليه و في هذا التحقيق تَخَاطَرُ لأنها معرضة للنجاح و

الإخفاق، و من المخاطرة تولد ضرورة التصميم، وهذا التحقيق ضروري لأن الوجود لا يكفي نفسه، و

اللحظات العليا للوجود هي تلك التي يكون فيها الوجود مهددا في كيانه الأصيل مثل لحظات الموت و ما

إليها.

إن العصب الرئيسي للوجودية هو أنها فلسفة تحيا الوجود، وليست مجرد تفكير في الوجود، و

الأولى يحياها صاحبها في تجاربه الحية، و ما يعانيه في صراعه مع الوجود في العالم، أما الثانية فنظر

مجرد إلى الحياة من خارجها، و إلى الوجود في موضوعه.



الأكسيولوجيا : Axiologie

في بداية التفكير الفلسفي كانت علة الوجود الطبيعي محور البحث الذي قامت عليه جميع الأنسقة الفلسفية: طاليس Thalès، وبارمنيدس Parménide، وهيرقليطس Héraclite وبظهور السفسطائيين، وسقراط بدأ التحول في موضوع الفلسفة، فكان الإنسان بجميع أبعاده، الفردية والجماعية محل الاهتمام، وهذا ما نلمسه في العبارة المنسوبة إلى سيسرون Cicéron " قد أنزل سقراط الفلسفة من السماء إلى الأرض "، فأضيف الإنسان بمنظومته القيمة الى قضايا الفلسفة، وأبعاد هذه المنظومة متعددة، مما أثارت فينا الرغبة في البحث أولاً مما دفعنا الى البحث في دلالات الكلمة.

الدالة المعجمية:

جاء في المعجم الفلسفي الصادر عن مجمع اللغة العربية في حد القيمة أنها: "صفة عينية كامنة في طبيعة الأقوال (المعرفة) ، والأفعال (الأخلاق) ، والأشياء (الفنون) ، كما أنها صفة يخلعها العقل على الأقوال والأفعال والأشياء طبقاً للظروف والملابسات وبالتالي تختلف باختلاف من يصدر الحكم ،فهي بهذا المعنى تعني الاهتمام لشيء أو استحسانه أو الميل إليه والرغبة فيه، ونحو هذا مما يوحي بأن القيمة ذات طابع شخصي ذاتي خلو من الموضوعية، وتكون وسيلة إلى تحقيق غاية".¹ القيمة: "تدلّ أصلاً على اسم النوع من الفعل (قام) بمعنى وقف، واعتدل، وانتصب، وبلغ واستوى، وتدلّ مجازاً على ما اتفق عليه أهل السوق. وقدّروه ، ورؤجوه في معاملاتهم بكونه عوضاً للمبيع.."²

وفضاء القيم واسع يوجد في الاقتصاد، ويوجد أيضاً في المجالات المعنوية، والتصنيف الثلاثي للقيم معروف في تاريخ الفلسفة، الذي اختزله أفلاطون في قولته المشهورة : الانسان مثلث الأبعاد عقل يستقرئ الحق ، وإرادة تستقطب الخير ، وحس يستقطر الجمال والأستاذ عبد الرحمن بدوي يحدّد هذه القيم الثلاث بقوله : " هناك قيم عقلية متعلقة بالحق، مثل قيمة البرهان، قيمة نظرية علمية، قيمة كتاب، وقيم جمالية مثل قيمة لوحة أو مسرحية، وقيم أخلاقية متعلقة بالخير".³

³ إبراهيم مدكور، المعجم الفلسفي ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، مصر 1983 ص : 151 (د،ط)

¹ الربيع ميمون ،نظرية القيم في الفكر المعاصر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1980 ص : 27 (د،ط)

³ عبد الرحمن بدوي، الأخلاق النظرية ،وكالة المطبوعات، الكويت ،الطبعة الثانية 1976 ص : 90

القيم هي مجموعة من الصفات الشرطية التي يمكن توفُّرها في فعل أو في سلوك معين، فهي ليست حقائق وجودية تتمته بانطولوجيا مستقلة، بل هي اعتبار مضاف يمكن ان يوجد، ويمكن ان يغيب، و من حيث البنية التركيبية تتألف من عناصر أولها الشخص، إذ لا يمكن تصور حكم أخلاقي بدون وجود الشخص المصدر لهذه الأحكام، وثانيا موضوع الحكم، وهو السياق أو المجال أو الحقل الذي يكون موقع تقييم الشخص، فالقيم من المفاهيم الجوهرية التي تمسّ جميع مظاهر العلاقات الإنسانية في جميع ميادين الحياة، والقيم في الفلسفة تتفرع الى ثلاث: الحق الذي ينفرد بدراسته علم المنطق، الجمال (علم الجمال)، الخير (الأخلاق-الايثيقا)، وسنحاول تقديم ملخص عن كل أنموذج:

القيم الأخلاقية:

الحضور القيمي في الأخلاق يتم من خلال المطلوبة التي تميز الفعل الخلقى، فالخيرية هي صفة مطلوبة من طرف الانسان، وليس حث=قيمة واقعة، وعليه نجد اهتمام فلاسفة الأخلاق بالمرجعية الفكرية والثقافية للقيمة، او بصيغة اخرى للصفات المتفق عليها، والنظريات الأخلاقية كنمط معرفي داخل الحقل الفلسفي، تؤرّخ بشكل عفوي لأزمات الحياة الأخلاقية في عصرها، فالبحث في.. أو عن الأسس النظرية العامّة للفعل الأخلاقي يرتبط بالأزمة، فهي التي تولّد الهمة، والحقيقة تكون مرافقة للبحث، واستقراء الفلسفة في مسارها الأفقي يكشف عن واقع الأزمة الأخلاقية التي لازمت الأخلاق، وقد أخذت هذه الحالة من المحايثة عدّة أوجه، وفي عدة مستويات.

مصادر القيم الخلقية

البحث عن جذور الأخلاق يضعنا في دور فلسفي يصعب علينا الخروج منه، وما نوّد التنبيه عليه في هذه المحطة أن البعض من المفاهيم الأخلاقية، والقيم نتاج فئوي لا يمتُّ بصلة إلى الأخلاق، حيث أن التمرّد الواقع من الشريحة الواقعة تحت ضغط الطبيعة الماكرة التي تدفع بالكائن إلى الاستمرار في إرضاء نزواته الطبيعية، يدفع الكائن إلى البحث عن مبرّرات سلطوية لطمس منظومة القيم، ومنها إضفاء القداسة الوهمية على كل سلوك أو قيمة مصطنعة، والذي جعل من المنظومة الأخلاقية تأليفا بين متناقضات يفترض تجديدا، أو تأويلا أو تثويرا داخل هذه المنظومة.

والبحث في ثنايا الأنساق الفلسفية يكشف عن الخلاف الذي حايث الإجابة عن سؤال المصدر الذي تعود إليه الأخلاق، فالمدارس الذاتية في جميع العصور تقرّر، وتحتاج في إثبات فردية، وذاتية القيم الأخلاقية، وفي المقابل نجد المدارس المتعالية تدافع عن وجهة نظرها في موضوعية القيم، وكتب التخصّص تزخر بذلك.

والمدارس الدينية باعتقاداتها المتعدّدة، وبتوجهاتها المتباينة ساهمت في تجريد الأخلاق، وسلّحها البعد الذاتي الذي تفترض وجوده في الإرادة الإنسانية، فلا أخلاق بدون حرية إرادة، ووعي، فالتجربة الأخلاقية تأصيل لحقيقة الأخلاق، وليس التنظير الذي تصبح الأفكار الأخلاقية في رفوف المكتبات، ويموت المؤلف فيه، بمجرد الكتابة.

مستوى الممارسة أو الأخلاقية

طرحت نسبة القيم الأخلاقية بين المجتمعات البشرية، سؤالاً مركزياً عند النخبة الفكرية للجماعات، والفلاسفة بحث فيه هؤلاء عن دواعي الاختلاف بين المعتقدات القيمية، وقد كانت الرحلات التجارية عاملاً من العوامل الذي كشف للفلاسفة، والنخبة العلمية ملامح الأزمة القيمية، والأخلاقية داخل المؤسّسات المدنية المحلية، حيث يذكر التاريخ رحلات سقراط، وكثير من فلاسفة الإغريق إلى مصر، فالنهل من علوم الشعوب، وحكمتهم مسألة ضرورية عند عاشقي الحقيقة، ولذا نجد أن الفلسفة السقراطية نتاج للفلسفات السابقة إغريقية كانت، أو شرقية، أو بتعبير أدقّ نجد في ثنايا هذه الفلسفة شذرات، وأصول، وحكم أخلاقية سابقة.

سؤال القيمة الخلقية

اختلف الفلاسفة حول مصدر، وطبيعة القيمة الخلقية التي يتعلّق بها الفاعل الخلقى بالطلب، وكانت صيغة المسألة في الشكل التالي هل القيمة الخلقية كصفة مطلبية متضمنة في الفعل الخلقى، أم خارج جوهر الفعل؟ وهل هي نتاج تجربة أخلاقية فردية؟ أم نتاج تراكمات قيمية تكوّنت بالعادة، والمألوف عبر التاريخ للمجتمع، فكانت الوجهات متعددة، ومتباينة في المدارس الخلقية، ففي البدء كان الإعلان عن ذاتية القيم مع جورجياس*، وبروتاغوراس*، ثم كانت الفضيلة، والمعرفة عنواناً لتجريد القيم، وقد أقصى سقراط حسب فريدريك نيتشه* Nietzsche [1900-1844] حقّ الجسد في بناء القيم الأخلاقية، بتمثله، لروح ابولو*، وحمله سيف سلطته في حربه على حقوق الإنسان الذاتية،

* فيلسوف يوناني كان معاصراً لسقراط من مؤسسي الحركة السفسطائية (480-375 ق.م).

* رائد السفسطائية اليونانية، عاش ما بين: (487-420 ق.م) من مسلماته: الإنسان مقياس كل شيء.

* فيلسوف ألماني، رائد الحدائث الغربية، من مؤلفاته: هكذا تكلم زرادشت، جينالوجيا الأخلاق..

* الإله ابولواله الحكمة، والمعرفة في مقابل الإله ديونيسوس اله المرح، والخمرة والشهوة.

والتي تبدأ مع الجسد، ثم كانت المذاهب الخلقية المتباينة في اعتقاداتها، وفي القول بذاتية القيم، أو موضوعيتها.

وكانت مذاهب السعادة بأنواعها تعبيراً عن ارتباط القيمة بتجربة الفرد الأخلاقية الذاتية، ابتداءً مع أفلاطون الذي جعل السعادة أو الخير الأمثل في التوازن، والانسجام بين الدوافع، والرغبات المتضاربة، وفكرته في العدل تؤكد ذلك، فالتوازن داخل الموجود ينتج النموذج، والرجل الفاضل، وكذلك الدولة النموذجية.

وبدأت مع أرسطو الرغبة في ضبط الدلالة الموضوعية للسعادة، بالتمييز بين طلب اللذة، وطلب السعادة، فكانت السعادة عنده هي الخير الأعظم، الذي يتوخاه الكل، فأسس بذلك أرسطو لمبدأ الغائية في الحياة الأخلاقية، فكانت بذلك الأخلاق الأرسطية أخلاقاً تداعياتية *Conséquentialisme* فالفعل الخلقى عند أرسطو كما يقول توفيق الطويل: "يقترن في العادة بوجودان من المتعة الذاتية، ولكنه يجاهر بأن الفعل الخلقى لا يكون خيراً لأنه يحقق متعة، بل يقول إنه يحقق متعة لأنه خير".¹ ومع مذاهب المنفعة بدأت الطبيعة البشرية في اعتلاء مملكة الإنسان، بعيداً عن سلطة العقل المتحجّر في قوالب منطقية مجردة، فكانت المدرسة القورينائية، والابيقورية، وأخيراً مذاهب المنفعة العامة.

¹ توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية، دار النهضة العربية، مصر الطبعة الثانية 1967 ص:66

خصائص الفلسفة:

يتميز المجال الذي تدرسه الفلسفة بخصوصيات أهمها:

الشمولية:

يمكن القول أن المعرفة الفلسفية موسوعية، فهي تهتم بدراسة كل المسائل التي تطرح نفسها على الإنسان، والتي يطرحها الإنسان على نفسه أيضا، والتصنيف الكلاسيكي للمباحث الفلسفية ينبئ أو يشير إلى هذا البعد في موضوع الفلسفة، فالمباحث الثلاث التي كانت تؤرق الفيلسوف، لا يمكن رسمها بحد، ومن خلال الإشارة الى بعض معالم المباحث الفلسفية العامة

فالانطولوجيا أو الوجود تتعلق بكل مسائل الطبيعة ، والذي أصبح فيما بعد من مباحث العلوم الجزئية لا يشكّل إلا جزءا من اهتمامات الفيلسوف، أما مبحث المعرفة أو الابدستمولوجيا، فلللاسفة الكثير من النقاشات والأطروحات، والمذاهب الفلسفية التي ستتعرف عليها لاحقا توضح لك البعض من اللحاظ التي اهتم الفلاسفة بدراستها، أما المبحث الثالث في الفلسفة، يضم في طياته الكثير من العلوم أهمها علم المنطق الذي يهتم بتمييز المعارف الصحيحة عن المعارف الخاطئة، وعلم الجمال أو الاستطيقا الذي يميز بين الجميل والقبيح، وعلم الأخلاق الذي يضع الحدود الفاصلة بين الخير وبين الشر، وعليه يلاحظ أن موضوع الفلسفة يمتاز بالشمولية .

التجريد:

. التجريد عملية عقلية ينزع الفكر الصفات المشتركة من الأشياء، بحيث تصبح عامة، ومدركة دون شرط حضورها في عالم الحس، قهو ضرورة لازمة في التعريف، لأن معرفة الصفات يقتضي تحديدها في جميع أفراد المعرف، و. المجرد هو الموجود الذي لا يمكن ملاحظته في الواقع كشيء مادي ، فالعقل مثلا موجود مجرد ، ولكننا لا نراه ، ولا يمكن تحديد مكان له، ونقيض المجرد العيني أي ما يوجد في مكان معين وزمان معين، وهو الشيء المادي المحسوس، . الفلسفة تخصص في الدراسات الفكرية المجردة، لذا فإن موضوعات الفلسفة هي النظريات والمفاهيم والتصورات والأفكار.

الكلية:

الفلسفة هي مفهوم كلي للوجود، فهي تبحث في علاقة الإنسان بالإله والآخرين من طبيعة ومجتمع، لذا فإن مواضيع الفلسفة هي العلاقات، في مقابل العلم المتعلق بموضوع جزئي يتناول نوع معين من أنواع الوجود، غير أن هذا لا يعني أن الفلسفة بما هي كلية تلغي العلم بما هو جزئي، ذلك أن الكل لا يلغي الجزء بل يحده فيُكَمِّله ويُغْنِيه، فاللحظة الأولى لميلاد الفلسفة عند هيغل تبدأ مع الكلية، والتحرر من قيد النسبية الذاتية، والاجتماعية: "يبدأ - تاريخ الفلسفة - هناك حيث يبلغ الفكر في حريته مرتبة الوجود، عندما يتحرر من الطبيعة التي كلان منغمسا فيها، فيخرج من وحدته معها، عندئذ يتكون الفكر لذاته، ويعود الى ذاته فيمكث بالقرب من ذاته.. وتبدأ حيث يكون الفكر معتبرا لذاته، كالعام الموجود المشتمل على كل شيء، او حيث يكون الموجود منظورا اليه فيس شكل عام، حيث فكر الفكر، العام المفكر بذاته كالوجود الحقيقي يتجلى، او حيثما يكمنون العالم ممثلولا في شكل الكلية، الشمولية."¹

يجمع الكثير من الباحثين في الفلسفة ان الفلسفة تتطابق معه الفلسفة الاولى او الميتافيزيقا، وتحديد خصائص للفلسفة بشكل دقيق ايضا مسألة اختلافية، حيث يتفق الفلاسفة والكثير من العلماء ان: "أن الاسلوب التعقلي هو الاسلوب الوحيد لا ثبات مسائلها، وذلك على العكس من العلوم التجريبية والنقلية."² ولكن هذا الاسلوب ليس خاصة مميزة للفلسفة، بل هي مشتركة مع دراسات وحقول معرفية اخرى، فهي تستخدم ايضا في: "المنطق، ومعرفة الله، والمعرفة الفلسفية للنفس،

¹ فريدريك هيغل، محاضرات في تاريخ الفلسفة، ترجمة: خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الاولى 1986 ص.ص:192-193

² مصباح اليزدي، المنهج الجديد في تعليم الفلسفة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 2007 ص: 81

وبعض العلوم الأخرى مثل فلسفة الأخلاق وحتى في الرياضيات، وعلى هذا فلا يمكن اعتبار هذه الميزة من خصائص الفلسفة الأولى".¹

كما تتكفل الفلسفة بإثبات المسائل العلمية والنظرية في كثير من الحقول المعرفية، والعلمية وهي الدلالة التي يحملها النعت المشهور بأن الفلسفة هي أم العلوم، فهي الية ووسيلة لازمة لكل علم مهما كانت طبيعة مجاله المعرفي سواء كان تجريبيا أو نظريا، فالعلوم التجريبية مثلا بحاجة إلى الفلسفة في كثير من محطاتها البحثية، فالفرض (Hypothèse) مثلا بطبيعتها بناء ذهني وعقلي صرف تقوم الفلسفة بالياتها ببنائها واكتشافه.

كما تتقاطع الفلسفة مع المعرفة في غاية المعيارية، فهي تقدم للباحث: "المعيار الذي يميز به الأمور الحقيقية والأشياء الوهمية والاعتبارية، ولهذا يعتبر أحيانا الهدف الأساسي للفلسفة هو معرفة الأمور الحقيقية، وتمييزها من الوهميات والاعتباريات.."²

¹ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² المصدر نفسه، ص: 82

مناهج الفلسفة:

مدخل:

الحقيقة مطلب مشترك بين أبناء البشرية، فالكل يسعى بطريقته لبلوغها، والكل منا يدعي امتلاكها، فمسار الحقيقة عبر التاريخ كان محايا للتضحية التي بلغت أوج العطاء في تقديم سقراط نفسه قربانا لها، ومن المبادئ الرئيسة في البحث هو التمييز بين الباحث، والموضوع، والنتائج.

الباحث: شخص يسعى لبلوغ معرفة معينة، وهو العنصر الفاعل في البحث، ولا يظهر بمظهر واحد بل يتعدد حسب نوعية النزوع والاتجاه، فالفنان مثلا باحث عن الحقيقة الجمالية، والعالم يجتهد في إدراك الحقيقة الموضوعية، والفيلسوف ساع نحو الحقيقة المطلقة، أما الموضوع فهو العينة المبحوث فيها، والتي قد تكون موجودا طبيعيا، جامدا أو حيا، وقد تكون إنسانيا متعلقة بشكلة فردية أو جماعية، والنتائج هي المعارف او الحقائق المتوصل اليها، والتي تتلون بطبيعة الموضوع المبحوث فيه، فالنتائج العلمية تتسم بالدقة والموضوعية والتعبير الرياضي، أما النتائج في الفلسفة، فنسبية، ومتغيرة، والعلاقة بين العناصر البحثية الباحث، والموضوع والنتيجة تتحدد من خلال جملة من القواعد يضعها الباحث لمعاينة الموضوع، ودراستها، وهو ما يصطلح عليه بالمنهج.

وبما أن الفلسفة تجربة بحثية فردية، فإن المنهج في الفلسفة لا يأخذ نمطا واحدا، بل يتعدد، ويتجلى في أشكال متعددة، وعليه يستحسن ان نقول: مناهج فلسفية بدلا عن المنهج الفلسفي لأن المنهج يقتضي الوحدة والأحادية، والمناهج تتضمن التعدد، والتغاير، والفلسفة تنوع وتعدد داخل فضاء بحثي واحد، والدليل على ذلك التنوع الذي ميز المناهج الفلسفية، إذ لم يكتف الفلاسفة: "... بحدوسهم الشخصية، وإنما سعوا الى الاستدلال عليها او الاقناع بها، فسخر السفسطائيون فنون الخطابة لإشهار آرائهم، واستغل افلاطون ضروب الحوار والجدل، وقص الاساطير وضرب الامثال، وحاول ديكارت* ان يستخلص منهاجا كليا يصبح مفتاحا للاكتشاف في الفلسفة مثلما في العلم.."¹.

* فيلسوف فرنسي(1650/1596) من مؤلفاته: مبادئ الفلسفة، منقال في المنهج، تأملات..

و يمثل المنهج في الفلسفة العصب الأساس الذي يميز الفلسفة، فالنظريات الفلسفية كما قررها أصحابها لا تقم اجابات عن الاشكالات التي تراود الذهن البشري، بل هي مجرد محاولة مشروطة ومحددة بظروفها الثقافية، وعليه يكون المنهج او فعل التفلسف أهم من النظرية، وهو فعل عقلي نقدي تحليلي للقضايا الواقعية والنظرية، وتحليل مباشر للصور الذهنية والمفاهيم والتصورات المعتمدة في بناء التفكير، ونستأنس في هذه المحطة بمقاربة المفكر المغربي حمو النقاري* التي يحد فيها معالم النظر الى التفلسف والتي يجدها متعددة، إذ يستشكل التفلسف، من مناح عدة، فحد التفلسف ينبغي أن يحدد من خلال الزاوية المنظور بها، فقد ينظر اليه من خلال المبدأ أو المحرك السابق لفعل الاستشكال الذي يقوم به الباحث (الناظر) فهو من: "جهة مبدئه او الدافع اليه...سعي ناظر متوحد وجريء من جهة وسعي ناظر مستشكل وفاحص من جهة اخرى."² ومن جهة الموضوع: "... سعي ناظر يبني المفاهيم وينسق بينها"³ ومن جهة المقصد والغاية: "... سعي ناظر متروي تتمثل رويته في توجيهه نحو طلب امتلاك آراء من جهة وسعي ناظر مريد للمعرفة ومحب لها من جهة أخرى"⁴. وقد تكون زاوية النظر الى التفلسف من حيث الصورة، فيكون بذلك: "سعي ناظر قارئ وجامع لتفلسف غيره أو سعي ناظر منشئ ومحرك لتفلسفه الخاص او سعي ناظر يحاور ويتداول بتفلسفه الخاص تفلسف غيره..."⁵ والجهة الخامسة المنظور بها للتفلسف تظهر في الأداة، والوسيلة، والتي تمنح

¹ الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الاولى 1990 ص:11

* مفكر مغربي معاصر

² حمو النقاري، روح التفلسف، ابداع، بيروت، ط:2017/01 ص:12

³ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

⁴ المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

⁵ المصدر نفسه، ص:13

التفلسف دالة استدلالية، فيكون فعل التفلسف فعل: "ناظر يؤدي تفلسفه بالتوسل بالاستدلال وبالانتقاد أي سعي ناظر محاجج".¹

التفلسف كسؤال:

السؤال تظاهر أولي لفضولية المعرفة عند الإنسان، وقاسم مشترك بين جميع المعارف الانسانية، وتنميط السؤال الإنساني في مضمون وشكل واحد ليس إلا مغالطة، وهو استفهام يكون الغرض منه معرفة حقيقة مجهولة، أو البرهنة على حقيقة مكتشفة، وتتفاوت الأسئلة حسب درجة الصعوبة، وتبعاً لنوع المحتوى الذي يتعلق به السؤال، فهناك أسئلة بسيطة عادية، تقتضي إجابة محددة مثل: أين توجد المحطة؟ ما اسمك؟ وأسئلة استرجاعية تخاطب الذاكرة، مثل: متى استقلت الجزائر؟ ومتى سقطت غرناطة؟ وهناك أسئلة استشكالية يصعب الوقوف على إجابة دقيقة (الأسئلة الفلسفية)، وهناك أسئلة تتعلق بمجهول طبيعي ومادي محدد يمكن تفكيكه وبلوغه مثل الأسئلة العلمية.

ويتركب السؤال الفلسفي عند طه عبد الرحمن من معنيين:

الطلب: و" معلوم أن فعل الطلب هو الشرط الضروري لحصول المعرفة، فتكون الفلسفة بانبنائها على السؤال، قائمة مقام الشرط الذي به تحصل المعرفة مادامت حقيقة السؤال هي انه طلب السائل معرفة المسئول عنه".²

التداعي: ينحل السؤال الفلسفي الى مجموعة أسئلة فرعية جزئية تترتب عن المضامين والقضايا التي تتضمنها، وينطبق عليها وصف الحديث المتضمن في المثل العربي: "الحديث ذو شجون" فالسؤال

¹ المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

² طه عبد الرحمن، فقه الفلسفة، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى 1995 ص: 11

الواحد "..يتوالد في كل اتجاه، ويتشعب تشعبا، فقد يأتي السؤال اللاحق من داخل السؤال السابق او يأتي من خارجه، وقد يبرز من تحته، او يبرز من فوقه".¹

وفعل الاستشكال* الذي يقوم به الباحث، يضع السائل والمتفلسف او المستشكل في موقف يجعله صاحب حق في طرح السؤال، وحائز على تراكم معرفي يتحكم في رؤيته للكون، مستأنسا بفعل النقد والتشكيك لتمحيص وفحص المعطيات المعرفية الاولية، والاعتقادات الجاهزة بتفكيك نسقها البرهاني وبيان مدى صحتها او زيفها.

التفلسف كدهشة:

والدهشة من المحركات الرئيسة للسؤال الإنساني التي تضع السائل في موقف غريب عن الآخرين، مما يجعله في موقع سخريه واستهزاء من قبل العامة، وقصة طاليس مع الفتاة او العجوز تقرر بذلك: "... وبينما هو ذات يوم خارج من محله بقصد رصد الكواكب واذا هو قد وقع في حفرة عميقة.. ساعدته خادمة في الخروج منها وقالت له: اتزعم يا طاليس انك تعلم جميع ما يقع في السماء مع انك لم تعلم ما تحت رجلك.."².

والميزة الرئيسة في المشكلة الفلسفية انها تتعاطى مع مسائل في الواقع تبدو بديهية وعادية ومألوفة عند الرأي العام، ولكن بمجرد أن يسلب عليها الفيلسوف الضوء، تصبح موضع حيرة ودهشة، والغموض لا ينشأ: "... من جهله بالمعطيات التي قد تساعده على حل المشكلة، إذ أن المشكلة

¹ المصدر نفسه، ص:12

* problématisation وتحمل معنيين: "الأول: مجموعة من الاشكالات مشتركة الاصل، الثاني: مجموعة من المطالب المفيدة والمؤثرة التي تواجه ناظرا من النظار في موضوع من المواضيع، مطالب قابلة لان يمسك بها منطقيا عبر انجاز جملة من العمليات النظرية المرتبة وفق ما يقتضيه المبحث الذي ينظر في ذلك الموضوع" انظر: حمو النقاري، روح التفلسف، مرجع سبق ذكره ص:20

² ديوجين لايرتيوس، مختصر ترجمة مشاهير قدماء الفلاسفة. ترجمة عبد الله حسين، المجلس الاعلى للثقافة مصر

2006 ص:08

التي يكون الجهل سبب غموضها ليست مشكلة فلسفية، لكننا نسمي المشكلة فلسفية حين نكون على علم تام بكل الوقائع الازمة لحلها، ثم نظل بعد ذلك في حيرة وقلق، لا ندري ما طريق حلها..¹

التفلسف حوار: □

الحوار بالأصل هو تواصل واتصال مع الذات ومع الغير، فهو اقرار واصغاء للغير وفي حقه في التعبير عن رايه، والحوار ظاهرة انسانية، وليس حكرا على الفلسفة، بل هو موجود في الدين، وفي الثقافة ككل، فالمأمول والمقبول من طرف المجتمع هو انموذج بالنسبة للجميع، وتاريخ الفلسفة يكشف لنا عن ضرورة وأهمية الحوار فالأثر السقراطي تم تدوينه من قبل افلاطون في صيغة حوارات، وهو تأسيس لعقد اجتماعي واخلاقي بين الاطراف المتحاورة، فهو مدخلا وهدفا للعيش المشترك.

وهو من المناهج المتبعة في الفلسفة ، وهو الفلسفة في ذاتها، " قيل بان الفلسفة حوار، ولو لم يكن حوارا لملا كانت فلسفة، ولذا قال افلوطين: لو لم يكن فورفوريوس يسألني لما كان لدي اعتراضات اقوم بها بحلها وبالتالي لا يكون لدي ما اقله.."²

ويأخذ الحوار اشكالا عدة، وفي نظر سوريو (souriau) هناك نوعين من الحوار: "حوار يتعادل فيه الصوتان او الاصوات، وهو الحوار في صورته الخالصة.- حوار يكون فيه لاحد المتخاطبين الغلبة، وتتميز فيه حالة الحوار السؤالي، أي حين يسأل المتعلم الجاهل معلمه الذي لا يرد قوله وهكذا فان ما يطرحه المتعلم من احراجات يكون منطلق الحوار، ويوجد هذا النوع عند شيشرون وسكوت اريجيننا وفي عدد من كتب الشرق الاقصى"³

¹ محمود زيدان، مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977 ص: 09

² الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي المغرب، الطبعة الاولى 1990 ص: 139-140

³ المصدر نفسه، ص: 141

التفلسف شك: □

يعتمد المنهج الفلسفي على النقد والتمحيص للمفاهيم والمعتقدات السائدة، وهو ما يعرف بالشك، الذي هو ممارسة ذهنية تعكس التوتر، والقلق الفكري الذي يعانيه الباحث عن الحقيقة، ويعرفه جميل صليبا بقوله: "هو التردد بين نقيضين لا يرجح العقل أحدهما على الآخر، وذلك لوجود امارات متساوية في الحكمين، او لعدم وجود اية امارة فيهما ويرجع تردد العقل بين الحكمين الى عجزه عن معاناة التحليل او الى قناعته بالجهل".¹

وهو معاناة فكرية تقترب من الجهل بالشيء، ولكن هو حالة شعورية مؤقتة، وعند الجرجاني: "وقيل الشك ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشئيين لا يميل القلب الى احدهما، فإذا ترجح احدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن، فإذا طرحه فهو غالب الظن وهو بمنزلة اليقين".²

منهجية التفلسف:

التحليل:

يعتبر المنهج التحليلي أم المناهج البحثية في الفلسفة، والتحليل عملية عقلية يفكك بها المركب الى عناصره الاولية البسيطة، والتي تمكن الباحث من خلال تلك العملية التعرف على البناء التركيبي للموضوع المفكك، والعلاقات الوظيفية بين العناصر، والذي يقدم للباحث خبرة منهجية تحليلية خصوصا اذا كانت الموضوعية صفة محايدة له، فالحقيقة تقدم نفسها للباحث عنها، ولا تتقدم للذي يبحث عنها في منظومته المعرفية التي يؤمن بها، ويعتقد في صحتها.

ويربط البعض من الباحثين بين التحليل والنقد، لأنه بالأصل ممارسة تحليلية موضوعية للمسائل، وللأدوات المستعملة في التحليل: "... وفي هذا الدور يقوم المفكر بتحليل ما يمكن تسميته بأدواتنا العقلية: فيدرس طبيعة الفكر، وقوانين المنطق والاتساق، والعلاقات بين أفكارنا والواقع،

¹ جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1 دار الكتاب اللبناني بيروت 1982 ص:705

² الجرجاني، الشريف، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004 ص:110

وطبيعة الحقيقة، ومدى صلاحية مختلف المناهج التي نستخدمها في توصلنا الى الحقيقة او المعرفة..

فهو يحلل مناهج العلم والدين والفن والحدس والموقف الطبيعي...¹

والتحليل قاسم مشترك بين المذاهب الفلسفية، حيث مارس جميع الفلاسفة الية التحليل

كمدخل اولي في قراءة المسائل، والقضايا، على قاعدة الاجماع الموجود بينهم في اعتبار الفلسفة علما

للمبادئ الاولى للمعرفة والوجود، جعل الفلاسفة يتقاطعون في الية التحليل فقد: "ثبت أن التحليل

منهجهم جميعا، لانه وسيلتنا الى تلك المبادئ.. والتحليل مراجعة ما لدينا من اقوال الفلاسفة

السابقين، وتناولها تناولا نقدي، ثم تصنيف المشكلات الفلسفية وتمييزها..."²

التركيب:

¹ هنتر ميد، مرجع سابق، ص: 19

² محمود زيدان، مرجع سابق، ص: 123

علاقة الفلسفة بالعلوم الأخرى

الفلسفة والدين:

اقترن ميلاد المؤسسة الدينية بوجود الانسان الاجتماعي، لأن النزوع نحو التدين طبيعة اولية عنده، الذي لا ينحصر في الطقوس والشعائر التعبدية، بل الأخلاقية والسلوكية ايضا، والضمير الخلقى أنموذج على هذه الفطرة المغروسة في الجبلة الانسانية، ولكن المؤسسة البشرية للدين ظاهرة اصطناعية وليست طبيعية، ودليلنا في ذلك التعددية المذهبية والاستثمارات السياسية للاختلافات الدينية عبر التاريخ، فلا ممارسة دينية طبيعية، وفطرية غير التي تربط سرا بين المؤمن وخالقه، أما الممارسات الجماعية الظاهرة فلا تعبر عن الاصلية الدينية البتة، لأن الله حسب ما ورد في الأثر النبوي لا ينظر الى صورنا، ومظهرنا بل الى قلوبنا، واعمالنا، وما نقدمه من اعمال، وطقوس لا يحقق المقبولية الا بشرط واحد هو صفاء القلب، وطهارة الروح، وعليه فإننا نعتقد أن المؤسسة الدينية اجتماعية بطبيعتها، والرسالات السماوية في جوهرها هي تذكير وإعادة البشرية الى طبيعتها العلاقة بينها وبين الخالق، من خلال التأكيد على الركن الاخلاقي والاجتماعي في العقيدة، التي لا تقف عند حدود الايمان المجرد، بل محك صدقيتها يكون في العمل والسلوك المتبادل بين الفرد وغيره من بني جنسه، ومن الجنس الآخر.

كما يؤسس التدين في يومي الفرد، والجماعة، حكما بضدية الفلسفة والمنطق وتعارضهما مع المعيش، فالمعرفة الفلسفية تتعارض كلية مع المعارف اليومية المتداولة حيث.. "ظلت تميز الخاصة عن العامة، والانشغال النظري - التجريدي عن العملي الحسي انها معقدة، وصعبة وعميقة، ودقيقة ومبنية على خطوات منهجية واضحة وصارمة مقابل المعرفة اليومية الموسومة بالعملية، والبساطة والحسية واللاتجانس والبدهة والعشوائية والعفوية، وسهولة ولوج عالمها.."¹

¹ نور الدين الزاهي، الفلسفة واليومي مطبعة فضالة الطبعة الاولى 1999 ص:28

والتاريخ يكشف لنا عن الكثير من الأساليب التي مارست بها المؤسسة الدينية سلطتها على الأفراد، وعلى الأنظمة المعرفية الأخرى: العلم والفلسفة لدرجة أصبح فيها التجاوز والتصادم مع السلطة الدينية والثقافية معيارا لعلمية العالم وأصالة الفيلسوف، والارث المعرفي الذي تزامن مع اشكالية العلاقة بين الحكمة والشريعة يكشف مدى خطورة الموقف العلمي والفلسفي آنذاك، ففي جميع الديانات تجد التجاذب المستمر بين الفلاسفة ورجال الدين في شكل مد أحيانا وجزر أحيانا أخرى، والنص التالي الذي يورده التوحيدي يعكس التصور الذي كان سائدا حول المعرفتين، والذي يرسم الفوارق الكبرى بين الحكمة والشريعة، وقد جاء على لسان أبي سليمان السجستاني: "إن الفلسفة حقّ ولكنها ليست من الشريعة في شيء، والشريعة حق لكنها ليست من الفلسفة في شيء، وصاحب الشريعة مبعوث، وصاحب الفلسفة مبعوث اليه، واحدهما مخصوص بالوحي، والآخر مخصوص ببحثه، والاول مكفي، والثاني كادح، وهذا يقول: امرت وعُلِّمت، وقيل لي، وما أقول شيئا من تلقاء نفسي، وهذا يقول: رأيت ونظرت واستحسننت واستقبحت، وهذا يقول: نور العقل أهتدي به، وهذا يقول: معي نور الخالق الخلق أمشي بضيائه، وهذا يقول: قال الله تعالى...، وهذا يقول: قال افلاطن وسقراط، ويسمع من هذا ظاهر تنزيل، وسائغ تأويل، وتحقيق سنة.. ويسمع من الآخر الهيولي والصورة .. وما شكل هذا مما لا يسمع من مسلم ولا يهودي ولا نصراني ولا مجوسي ولا مانوي"¹

كان التسليم بالتمايز بين النمطين المعرفيين مصادرة اعتمدها رواد الفكر العربي والاسلامي انذاك، والتي عملت على توجيه الفكر العربي والاسلامي نحو رفض ظاهر وصريح لاشكال التفلسف، ومن بين الفتاوى الدينية التي قامت بالتأسيس الديني لهذا الرفض فتوى ابن الصلاح حيث: "سئل عن يشتغل بالمنطق والفلسفة فأجاب: الفلسفة أس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف، عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، ومن تلبس بها، قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم،

¹ ابوحيان التوحيدي، الامتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت 2011 ص:171

إلى أن قال: واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبشرة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية - ولله الحمد - افتقار إلى المنطق أصلاً، هو قعاقع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، فالواجب على السلطان أعزه الله أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبعدهم.¹ وتعتبر هذه الفتوى من أخطر اللحظات الثقافية في تاريخ العلاقة بين الفلسفة والشريعة، حيث رسخت الهوة الفاصلة بين المعرفتين.

وفي المقابل نجد الكثير من الفلاسفة ورجال الفكر في الإسلام يحاولون التقريب بين المعرفتين المتضادتين في الظاهر، ومنهم ابن رشد الجد، وحفيده فيلسوف قرطبة أبو الوليد ابن رشد، الذي ألف مصتفاً خصيصاً للمسألة، وهو كتاب: فصل المقال في تقريب ما بين الحكمة والشريعة من اتصال، والذي يكشف عنوانه عن سر تأليفه، حيث اجتهد فيه في بيان التوافق والتأصيل الشرعي للبحث الفلسفي والمنطقي، والتفلسف عند ابن رشد يكون حقيقة هو: "النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع"² و الاعتبار عند ابن رشد مع هو: "استنباط المجهول من المعلوم واستخراجه منه"³ والذي يتقاطع فيه مع المنطق، وهو - على حد تعبير بورشاشن ابراهيم - المعنى الذي تعطيه كتب المنطق للقياس، فالاعتبار في الشرع هو القياس في الفلسفة، ومنزلة الاعتبار من الشرع كمنزلة القياس من الفلسفة، وهو ما يستخرج منه ابن رشد أنّ الشرع دعانا إلى النظر في الموجودات من خلال استعمال القياس المنطقي، الذي هو القياس العقلي والبرهاني على الخصوص...⁴ بدأ ابن رشد، رحلته في بيان العلاقة بين الفقه والفلسفة من خلال أطروحته الرئيسة التي يبين فيها العلاقة بين الحكمة والشريعة، حيث أقرّب بأن: "الحكمة هي صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة، مع

¹ الذهبي، سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985 ص:143

² ابن رشد، فصل المقال، 1968 ص:27

³ ابن رشد، فصل المقال، مصدر سابق، ص:28

⁴ ابراهيم بورشاشن، الوحي والفلسفة، مجلة متون العدد 11 سنة 2016 ص:290

ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة، وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر والغريزة¹

وقد اعتمد ابن رشد هذه الفكرة كمصادرة في بيان العلاقات بين الفلسفة والفقه، ويظهر هذا في اللغة الفقهية التي استثمرها في إقرار هذه العلاقة، مثل اصطلاح الواجب، والندب، يقول: "فبين أن ما يدل عليه هذا الاسم إما واجب بالشرع، وإما مندوب إليه. فأما إن الشرع دعا إلى اعتبار الموجودات بالعقل وتطلب معرفتها، فذلك بين في غير ما آية من كتاب الله، تبارك وتعالى، مثل قوله تعالى: "فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ"²... وهذا نص على وجوب استعمال القياس العقلي، أو العقلي والشرعي معا."³

فالجزم بين القياس العقلي الذي يستمد فضاءه المعرفي، والمنهجي من المنطق والفلسفة، والقياس الشرعي المعتمد من قبل الفقهاء، والأصوليين، ظاهر في الطرح الرشدي، فلا فرق بين الفلسفة والفقه إلا في الاصطلاح، فالنص الفقهي، قائم على قواعد أصولية، وهذه الأخيرة صورتها الاستدلالية الفلسفية واضحة للعيان، يقول ابن رشد: "... كما أن الفقيه يستنبط من الأمر بالتفقه في الأحكام وجوب معرفة المقاييس الفقهية على أنواعها، وما منها قياس وما منها ليس بقياس، كذلك يجب على العارف أن يستنبط من الأمر بالنظر في الموجودات وجوب معرفة القياس العقلي، وأنواعه، بل هو أحرى بذلك."⁴

ولم تقف المقاربة الرشدية بين الفلسفة والشريعة عند حدود التقريب القيمي بين الحكمة والشرع بل تعدته إلى التأصيل الفلسفي للفقه، وهذا ما كشف عنه الباحث المغربي إبراهيم بورشاشن، في كتابه: الفقه والفلسفة في الخطاب الرشدي، والذي يبين فيه الإشارات، والدلالات التي

¹ ابن رشد، فصل المقال، 1968 ص: 58

² سورة الحشر، الآية: 02

³ ابن رشد، ابو الوليد، بداية المجتهد، ونهاية المقتصد 1960 ص: 28

⁴ المصدر نفسه، ص: 30

كان ابن رشد يرنو إلى إرسالها للمفكر العربي، منها دلالات عنوان كتاب: "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، إذ توقف بورشاشن عند كلمة البداية التي تمثل المفتاح الأول لعنوان الكتاب الفقهي، فالبداية تعني المدخل، فما قيده ابن رشد في كتابه ليس حقائق دوجمائية مطلقة، بل هي مجرد محاولات معرفية قد تصيب الهدف، وقد تجانبه بنسبة ما، وهو ما يعكس مبدأ النسبية في الروح الفلسفية، فالاعتقاد بإمكانية النقد، تسليم بالرأي الآخر، وإمكانية امتلاكه الحقيقة، وهو ما تقوم عليه الروح الفلسفية، فهو حسب الكاتب دعوة للتأمل: "البداية أرادته صاحبه كتابا مفتوحا وليس كتابا مغلقا، فهو كتاب مفتوح للتصحيح كما يعبر ابن رشد عن ذلك في آخر كتاب الطهارة، حيث يطلب من الفقهاء الذين يقعون في كتابه هذا على وهم أن يصححوه.."¹

والنص الذي يعتمده الأستاذ بورشاشن: "وأنا قد أبحث لمن وقع من ذلك على وهم لي أن يصلحه، والله المعين الموفق."² يؤكد لنا مستوى الروح العلمية عند ابن رشد، والتي ترفع من قيمة الإيمان بالنسبية في البحث الفقهي، والأصولي، خصوصا، وأن العصر الذي كان يعايشه عصر جمود، ووقوعه فكرية على المستوى الاجتهادي الفقهي، وهو رسالة إلى الفقهاء الذين يعتقدون في امتلاكهم الحقيقة المطلقة.

والملفت في كتاب البداية الأشكالية التي يعتمدها ابن رشد في التعامل مع المسائل الفقهية، فهو يتناهى في ضبط الإشكاليات الفرعية التي تستبطنها الظاهرة، فهو تعبير عن تجاوز للتعامل السطحي مع الظاهرة، والتي قد تودي بالباحث إلى مجانية الصواب، فتفريع الأسئلة بناء منهجي، وصورتي لمسئلة الموضوع، يقول بورشاشن: "نلاحظ أن الأسئلة فصّلت أكثر ... وبيان مواضع الإشكال فيه، وكأن القصد من ذلك هو أن يحصر ابن رشد أمام الفقيه جملة الإشكالات التي يطرحها القول الفقهي.. من أجل تأملها فهذا هو الأهم عنده، أما الأجوبة فليست بذات بال كبير.. إذن هي متروكة لاجتهاد الفقهاء

¹ ابراهيم بورشاشن، الفقه والفلسفة في الخطاب الرشدي، دارالمدار، بيروت الطبعة الاولى 2010 ص:110

² ابن رشد، ابو الوليد، بداية المجتهد، ونهاية المقتصد 1960 ص:88

...فالتأمل هنا أهم من الاستظهار والحفظ، فالتأمل منتج أما الاستظهار فعقيم.. فنحن مع ابن رشد

أمام دعوة غير مباشرة إلى التأمل الفقهي تضاهي دعواته المباشرة إلى التأمل.."

والمشروع الرشدي في مساره الفقهي لا يقف عند حدود الخصوصية القانونية، التي تفترض التسليم، والإيمان، والامتثال للقاعدة الفقهية، على قاعدة موضوعيتها، وتعاليمها، فهو يفتح المجال أمام النقاش، وأمام الرأي الآخر، وهذا ما ورثه عن الجد، الذي تعرفنا على أخلاقه العلمية، والفلسفية في التعامل مع المذاهب الأخرى، فهو يناقش أدلة علماء المالكية، كما يناقش أدلة المذاهب الأخرى، فهو ينتصر أحيانا لمذهب على آخر، يقول بورشاشن: "حيث ند ابن رشد ينتصر لموقف الشافعية الذي يذهب إلى أن النجاسة تزال فقط بالماء...وفي علل الربا ينتصر لعللة الأحناف ويعتبر علمهم أولى العلل.¹

والمقصود عند ابن رشد تربية الفقيه على التعامل الموضوعي، مع النص الفقهي، واجتناب القراءة الإيديولوجية للنص الفقهي، وفي التاريخ أدلة لا حصر لها تثبت اقتران النكبات بالقراءات الإيديولوجية. فالحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة، مع ما يقع بينهما من العداوة والبغضاء والمشاجرة، وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجواهر والغريزة² فالعلاقة بين الشريعة والحكمة ضرورية ولازمة لبلوغ الحقيقة.

ولو استقرأنا تاريخ البحوث والدراسات المرتبطة بالموضوع لوجدنا مقاربات المسألة متعددة، ومتنوعة في العصر القديم، والملمح العام فيها التركيز على البعد النظري التجريدي للمسألة، احتل المنطق فيها حصة الأسد من النقد والدحض عند الكثير منهم، وحاول البعض الآخر الدفاع عنه

¹ ابراهيم بورشاشن، الفقه والفلسفة، مصدر سابق ص.ص:119-120

² ابن رشد، فصل المقال، مرجع سابق، ص:58

بأساليب استدلالية متنوعة، ومن بين العلماء الذين انتقدوا المنطق: شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه

ابن قيم الجوزية، والقصيدة التالية لابن قيم تلخص طبيعة الموقف الراض للمنطق:¹

واعجبا لمنطق اليونان	***	كم فيه من افك ومن بهتان
مخبط لجيد الازهان	***	ومفسد لفطرة الانسان
مضطرب الاصول والمباني	***	على شفا هار بناه الباني
احوج ما كان اليه العاني	***	يخونه في السر والاعلان
يمثي به اللسان في الميدان	***	مثي مقيد على صفوان
متصل العثار والتواني	***	وكانه السراب بالقيعان
بدا لعين الظمئ الحيوان	***	فامه بالظن والحسبان
يرجو شفاء غلة الظمان	***	فلم يجد ثم سوى الحرمان
فعاد بالخيبة والخسران	***	يقرع سن نادم حيران
قد ضاع منه العمر في الاماني	***	وعاين الخفة في الميزان

ولكن رغم قوة الانتقادات التي قدمت في دحض المنطق الا اننا نلمس تاسيسا لمنطق فطري في الانتقادات التي وجهها شيخ الاسلام ابن تيمية للمنطق حيث تنبه للعلاقة الضرورية بين المنطق واللغة، واكد ان استعمال اصطلاحات اغريقية في اللسان العربي غير مبرر منطقيًا وغير سليم، لأن التاسيس الارسطي للمنطق وضع للسان اليوناني وليس العربي، ويورد ابن تيمية في كتابه الرد على المنطقيين مضمون مناظرة دارت بين السيرافي ومتى الفيلسوف: "أخذ متى يمدح المنطق ويزعم احتياج العقلاء اليه ورد عليه ابوسعيد بعدم الحاجة اليه وان الحاجة انما تدعو الى تعلم اللغة العربية، لان

المعاني فطرية عقلية لاتحتاج الى اصطلاح خاص..."²

¹ ابوقيم الجوزية، مفتاح دار السعادة، الاسكندرية 1979 ص:172

² ابن تيمية، الرد على المنطقيين، مؤسسة الريان، بيروت 2005 ص:221

يؤصل ابن تيميه في كتابه لمنطق فطري قائم بذاته في الشرع الاسلامي، و المرجع في رفض ابن تيميه للمنطق الصوري ارتباط الأخير بمنظومة الالهيات عندهم، حيث يلزم الاعتقاد باليات منطقية يونانية الايمان بمعتقدات اليونان الوثنية، يقول طه عبد الرحمن: "وبناء على هذا الاقتناع الجازم بان المنقول المنطقي مؤسس على اصول الهيئة يونانية، اضطلع ابن تيمية بمهمة اجتثاث هذه الاصول الوثنية واستبدال اصول الهيئة اسلامية مكانها، فدخل في عملية تاصيلية جذرية كان اهم مظاهرها مظهران اثنان: التاصيل الفطري للاستدلال والتاصيل الشرعي للعقل".¹

¹ طه عبد الرحمن، المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، 2012 بيروت ص:365

الفلسفة والعلم:

تؤرّخ العلاقة بين الفلسفة والعلم في مسارها الجدلي لرحلة البحث عن الحقيقة عند الانسان، والتمييز بين المعرفتين لحظة لاحقة وليست متلازمة مع البحث، فالمعرفة كانت اصطلاحاً مشتركاً تتقاطع فيه المعارف بجميع انواعها، وخصوصياتها، فالعلم بمصدايقه الحديثة كان منضوياً تحت المعرفة الدينية اولا والفلسفية بعد ذلك. قبل الحديث عن المشكلة أو القضايا العلمية، يجدر بنا تحديد مفهوم العلم، إذ لاحظنا كثرة التعريفات لهذا المصطلح، وتعدد مضامينه، تبعاً للرؤى والاتجاهات الفكرية، ومن بين المفاهيم:

" العقل والعلم كلمتان مترابطتان بحيث أن المفهومين اللذين تشير إليهما الكلمتان مفهومان، يحدد كل منهما الآخر ويتوقف عليه، وهذا الزوج الناتج عن عقد قران قديم، زوج لا ينفصم، إلى درجة أن مجتمعاتنا التي يقال عنها المتقدمة ترى فيه ميزتها الأصلية وعلامتها المميزة، والمنبع المتجدد لسلطتها على الأشياء وعلى الناس."1 ، ويقول بول فاليري: " لا يجب أن نسمي علماً إلا مجموع الصفات التي تكفل دائماً بالنجاح، أمّا ما عدا ذلك فهو أدب"، وعند كارل ياسبرس: " العلم هو المعرفة المنهجية التي يكون لمضمونها قوة برهانية، وصلاحية عامة "

ويطلق لفظ العلم على المجال المعرفي الذي يتميز بالدقة واليقينية، فالرياضيات، والعلوم التجريبية هي المعارف الوحيدة التي تستحق لفظ علم. ويتميز العلم عن الفلسفة بطبيعة موضوعه، ومنهجه.

الموضوع العلمي:

لكل علم موضوعه، فالتخصص هو السمة الرئيسية التي تطبع العلوم، فالعالم يتخصص في جزء دقيق من الظواهر، فهو لا يشبه الباحث القديم الذي كان ملزماً بالتعمق في جميع المعارف، وألوان الفنون، وتاريخ هذه اللحظة يعود إلى استقلالية العلوم عن الفلسفة، إذ بدأ كل علم يمهّد الأسس الموضوعية، والمنهجية لبحثه، فظهرت التخصصات العديدة، فالرياضيات أقدم العلوم استقلالاً، وفقد كان فيثاغورس Pythagore (459/570 ق.م) رائداً لهذا الاستقلال، ثم بدأت العلوم الأخرى تنحو نفس المنحى الذي أخذته الرياضيات، وهي الدلالة التي تشير إليها العبارة الشهيرة (الفلسفة أم العلوم) ، حيث كانت المواضيع التي استقلت بها العلوم جزءاً من الموضوع الفلسفي

1 Jean Toussaint Desanti ,la raison scientifique ,fayard 1980,p353

خصائص الموضوع العلمي :

كانت القضايا العلمية جزءا من المباحث الفلسفية، وتصنيف المعارف الكلاسيكي يؤكّد هذا التصور... وباستقراء تاريخ العلوم والفلسفة نجد أن الطبيعة هي الموضوع المشترك بين الفيلسوف والعالم في البحث، فاعتبار طاليس مؤسس التفكير الفلسفي تاريخيا عائد الى بحثه وسؤاله المجرد عن اصل الطبيعة، والملمح الفلسفي عنده يمكن في البحث عن العلة المصدرية، التي تلتقي عندها جميع العلل الجزئية، فالطبيعة مجموعة من الظواهر الجزئية المادية التي تنحل الى: جامدة، وحية وفلسفة الطبيعة التي هي: "الدراسة العقلية للأجسام الطبيعية الحية والجامدة، لمعرفة حقيقتها من حيث هي موجودات طبيعية".¹ تشترك مع الفلسفة في المنحى البحثي الذي تعمل به، ومع العلم في الظواهر المبحوثة، فهي - أي فلسفة الطبيعة - "تابعة للعلوم التجريبية تبعية مادية، بلكون هذه العلوم تقدم لها قسما من المواد التي تعالج بها موضوعها"² وتضم فلسفة الطبيعة مجالات متعددة تتداخل كثيرا مع الفلسفة بالمعنى الأخص (الميتافيزيقا) والفلسفة بمعناها الأعم، ولحظة الانفصال الايستيمولوجية التي عرفتها العلوم خلال مسارها جعلت موضوع العلم يتفرد بجملة من الخصوصيات أهمها البعد التجريدي في علم الرياضيات، والبعد التجريبي في علوم المادة ، والدلالة الضيقة للعلم تشير إلى أن العلم هو المنظومة المعرفية التي تتكون من القوانين .

التراكمية :

وتشير التراكمية إلى الإضافة الجديدة إلى المعرفة حيث ينطلق الباحث من النقطة التي توصل إليها الباحثون الذين سبقوه ، فيصحح أخطاءهم ويكمل خطواتهم وقد يبطل معرفة او نظرية استمرت عقوداً ويقدم معرفة علمية جديدة ، بعكس الفيلسوف الذي يؤسس نظريته علة نقض أو دحض النظريات السابقة له.

الموضوعية :

ولها معنيان يتمثل الأول في البعد عن الأهواء والميول الذاتية والأغراض الشخصية عند الحكم على المواقف ، أما الثاني فهو اشتراك أكثر من شخص في إدراك أو تسجيل خصائص ظاهرة ما بنفس الدرجة تقريبا .

التنظيم :

التفكير العلمي أسلوب او طريقة للبحث والمعرفة تستند إلى منهج يقيم علاقات منظمة بين الظواهر.

¹ محمود يعقوبي، خلاصة الميتافيزيقا- فلسفة الطبيعة-دار الكتاب الحديث القاهرة 2005 ص:05

² المصدر نفسه، ص: 07

القياس :

ويتمثل في استخدام رموز رقمية في التعبير عن خصائص الأشياء أو الحوادث استناداً إلى قواعد معينة .

الشمولية واليقين :

الشمولية تعني أن الحقيقة العلمية شاملة لأفراد عديدين أو لظواهر عديدة، واليقين يعني أن التفكير العلمي يستند على مجموعة كافية من الأدلة الموضوعية المقنعة التي تصل إلى الثقة واليقين بها ، ولكنه ليس يقيناً مطلقاً بل نسبي لأن العلم ضد الثبات والحقيقة الثابتة الوحيدة هي ان كل الحقائق تتغير .

الدقة والتجريد :

التفكير العلمي يتسم بالدقة والتجريد والباحث العلمي يسعى إلى تحديد مشكلته بدقة وتحديد إجراءاته بدقة ويستخدم لغة رياضية تقوم على القياس الدقيق ويتحدث بلغة مجردة والتجريد وسيلة الباحث لفهم قوانين الواقع .

المنهج العلمي :

يتبع الباحث العلمي مجموعة من الخطوات، والمراحل من أجل الوصول إلى اكتشاف حقائق مجهولة، أو البرهنة عن حقائق متوصل إليها، والمنهج العلمي يشير إلى منهجيتين، المنهجية الرياضية التي تعتمد على الفعالية العقل في استنباط الحقائق ، والمنهجية التجريبية التي تعتمد على التجربة و يقوم المنهج التجريبي على مجموعة من المراحل أهمها الملاحظة، الفرضية التجريبية، القانون.



قيمة الفلسفة:

من الاعتراضات التي تقف أمام المقبل على معرفة أهمية الفلسفة هو التداخل الموجود بين المواقف، فجدلوية العلاقة بين الموقفين الراض، والقابل للفلسفة تجدها متداخلة في الطرح الفلسفي، حيث نتعلم من قراءة الفلاسفة لهذه المواقف الراضة كثير من اليات التفلسف المنهجية، ويضع الفيلسوف نيته من مجموعة من المسلمات تساعدنا على فهم وقراءة المواقف التقييمية، ومنها: "حين يتعلق الأمر بأناس لا يعنوننا الا من بعيد، فإنه يكفيننا أن نعرف ماهي أهدافهم لكي نؤيدهم او نرفضهم كلية. أما فيما يتعلق بمن هم اقرب الينا، فإننا نحكم عليهم انطلاقا من الوسائل التي يستخدمون للوصول الى غاياتهم، وبالرغم من إدانتنا لأهدافهم، فغالبا ما نحيم للوسائل التي يستخدمون وبسبب نوع ارادتهم"¹.

الحكم بقيمة على الفلسفة والتفلسف ينبع حسب نيته من موقعين : الاول من خارج الفضاء الفلسفي، والثاني من داخل الفضاء نفسه، فمحددات الموقف الأول تكون مجانية في كثير من الأحيان الموضوعية، لأنها تنبع من نزوع تقزيمي للفيلسوف، فهو انسان غريب وطائر يغرد خارج السرب، وقصة طاليس مع الفتاة التراقية التي ضحكت عليه عندما وقع في حفرة من الماء تحمل الكثير من الدلالات التي يستبطنها الموقف، ويمكن الاستئناس بجملته تساؤلات طرحها الاستاذ عبد الغفار مكاوي: "ماذا تعني هذه الضحكة التي بدأت بها قصة الفلسفة؟ اكان بمحض الصدفة ان تطلقها فتاة عادية ساذجة؟ هل نفهم منها ان الفلسفة تخالف الحياة الطبيعية، وان فعل التفلسف يعارض كل فعل ما لوف؟ هل توجي ضحكة الفتاة المجهولة باتن التفلسف شيء فير عملي لا جدوى منه ولا نفع فيه ولهذا استحق منها ومن كل انسان يعرف ما يصنع ان يكون موضع السخرية والاستهزاء، بل موضع الاستنكار والمقاومة."²

¹ فريدريك نيته، الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي، مصدر سابق، ص: 37

² عبد الغفار مكاوي، لم الفلسفة؟ منشاة المعارف، الاسكندرية 1981 ص: 17

موقف الشك في أهمية الفلسفة :

لم يجمع البشر على شيء إجماعهم على رفض الفلسفة عبر التاريخ، حيث تجذر هذا الرفض، والاستهجان في مخيال المجتمعات البشرية، والأصل في ذلك عائد للأنظمة الكليانية التي استثمرت الخوف الطبيعي لدى البشر في استرقاق الانسان، واستعباده، وبما أن الفلسفة تفكير نقدي، وممارسة حرة للعقل، فقد كانت المصلحة السياسية لهذه للأنظمة استبعاد الفلسفة، وتهميشها بكل السبل، ولذا نجد أن الاتجاهات الراضية للفلسفة ليست الا زحزة للفكر عن العلة الأصلية لهذا الاستهجان.

موقف العامة:

العامة مفهوم غامض يحمل الكثير من الدلالات، إذ يشير من حيث البعد الكمي إلى الشريحة الأكبر من المجتمع، وهي الأكثرية أو العموم من الناس، أما من حيث الكيف فهي الرؤية السطحية والكيفية لقضايا الكون والحياة ، ويمكن القول أن نظرة العامة للفلسفة تظهر في الرفض، حيث أن أغلبية الناس ترى فيها معرفة عبثية ، لا تقدم خدمات ، ولا إجابة للتساؤلات التي تطرحها .

موقف البعض من رجال الدين:

أما البعض من رجال الدين فيعتقدون أن ممارسة التفلسف زندقة ومروق عن الدين، وقد اجتهد البعض من الكتاب في البحث عن الحجج والأدلة النقلية التي تشير إلى صحة موقفهم، ويعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية رائدا في هذا المجال. والحقيقة أن هذا الموقف ينبع من رؤية إيديولوجية كانت تهدف إلى تبرير الممارسات السياسية الظالمة التي كان يمارسها الحكام باسم الإسلام.

ولقد وضع الفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون¹ (Francis Bacon) قاعدة الأوهام الأربعة التي

تفسر بعمق أسس الرؤية العامية، وهي :

1 فيلسوف انجليزي : 1626/1561 من أهم آثاره الاورغانون الجديد

أوهام الجنس:

أخطاء عامة يقع فيها البشر بكله، ولا حصر لها، ومن الأمثلة على ذلك ضعف الحواس عن إدراك كل شيء فالعين لا ترى كل شيء قريب منها فهناك ألوان تعجز عن رؤيتها.. وقل مثل ذلك على باقي الحواس، ويؤدي هذا الضعف إلى قصورنا عن بلوغ المعارف الدقيقة.¹

أوهام الكهف:

وهي الأخطاء التي تتنوع بتنوع الأفراد وتختلف من فرد لآخر، ويمكن الإشارة إليها بالميلول الإنسانية، وما تتضمنه من اتجاهات ورغبات .

أوهام السوق:

وهي أخطر الأوهام، والسوق رمز للمكان الذي يتبادل فيه الناس السلع بيعا وشراء والمقصود به اللغة التي هي وسيلة للتبادل، والحياة العامية تفتقد إلى الدقة في التعبير عن الأفكار. ويصطل غاستون باشلار عن هذا العائق بالاسفنجية اللفظية، إذ اللفظ في اللغة يحمل دلالات زئبقية.

أوهام المسرح:

ويقصد به ببيكون خطأ النظريات الفاسدة التي سيطرت أو تسيطر على العقول فتنحرف عن الحقائق..فالتصورات السابقة أو بالأحرى تقديس الأسلاف قد ينعكس على تصورات وأفكار الناس، فيصبح كل تصور جديد مخالف للاعتقاد السائد أو المعنى المأخوذ عن السلف موضع شك وتشكيك.

موقف الدفاع عن أهمية الفلسفة:

الفلسفة كنمط معرفي متميز يلبي حاجة، ورغبة طبيعية لدى الإنسان للمعرفة، فالفلسفة تتناول مشكلات وتساؤلات تتصل بالإنسان ووجوده وحرية وترجع الحاجة للمعرفة إلى حاجة طبيعية

1 محمود فهى زيدان ، الاستقراء والمنهج العلمي، دارالجامعات المصرية، مصر، 1977 ص : 63

(فطرية)، ومع أنها لا تقدم إجابات حاسمة لهذا التساؤلات إلا أن مجرد سعيها إلى اكتشاف ما يفسرها تشبع رغبة الإنسان للمعرفة.

تنمية قدرات التفكير وحل المشكلات، فهي تؤدي الفلسفة إلى تنمية الروح الفلسفية النقدية حيث أن النقد العقلي هو: عدم التسليم بأي شيء دون إحكام العقل، وتنمي لديه الاستعداد للتأمل وتحفزه على اتخاذ القرار الحر.

كما تقوي إحساس الفرد بمسئوليته ومواجهة مشكلاته، وتسمح بتكوين وجهة نظر شخصية عن الحياة والعالم، فكل منا يريد أن يفكر بنفسه لا أن يفكر له الآخرون، فالفلسفة تساعد على التخلص من حالة الجمود العقلي التي تقبل فيها الآراء دون مناقشة، وتعود الفرد على فحص الآراء والأفكار التي تصل من الغير ونقدها حتى نفهم أنفسنا.

كما تعمل على تنمية وعي الإنسان وفهمه لذاته وعالمه، لإن وجود الإنسان يفرض عليه البحث في هذا الوجود ويضع غايته من حياته ولا يمكن أن يتم هذا بغير الفلسفة التي تساعد على مواجهة المشكلات، فتعوده على تحمل المسؤولية في حل مشكلاته.

إقامة الإيمان الديني على أساس عقلي: إن الفلسفة تبرهن على أن الحقائق التي أنزلها الله تتفق مع مبادئ العقل، وكثيراً ما يظن الناس خطأً إن الفلسفة تؤدي للكفر والإلحاد، ولكن الفلسفة لا تبرر هذا الظن فليس هناك تناقض بين إخلاص الفيلسوف لتأملاته العقلية وبين ولائه للعقيدة الدينية التي يدين بها.

وفي السياق الاجتماعي تساهم الفلسفة في تحليل ونقد الواقع الاجتماعي، فهي تبحث عن أمراض هذا الواقع ومشكلاته حتى تتمكن من الإسهام في تغييره أو إصلاحه، فالفلسفة تهدف من وظيفتها النقدية أن توفق بين جوانب الحياة الاجتماعية وبين الأفكار والأهداف العامة للعصر.

كما تعمل على تقديم حلول مقترحة لبعض المشكلات الاجتماعية، إذ لا تكتفي بكشف مشكلات المجتمع وتحليلها بل تسعى إلى تقديم مجموعة حلول تساعد على الارتقاء بالمجتمع وتحقيق هدف

أسمى هو المحافظة على القيم والمبادئ والأهداف الرئيسية التي تقرها المجتمعات، وتحقيق ارتقاء المجتمع ونهضته على قاعدة التوجه الانساني الذي يجمع الفلاسفة في مساهمهم البحثي.

وليم جيمس*

البدء بوليم جيمس في الدفاع عن الفلسفة يعتمد على أسس متعددة، منها: موقف الفيلسوف العام من الفلسفة والميتافيزيقا، حيث يعرف عنه التوجه البراغماتي، وانتقاده اللاذع للميتافيزيقا، وفي نفس الوقت نجده يدافع عن الفلسفة، ويرد على دعوى الرفض و التي تقوم على أساس باطل، حيث أن المسلمات الرئيسية التي قام عليها القدرح في الفلسفة يتجلى في الابتعاد عن الطابع العملي، وسياحتها في عالم المجردات، فهي تحاكي البحث عن قبعة سوداء في غرفة مظلمة، فهي نظرية مجردة، لا تقدم حلولاً أو منافع ملموسة بالنسبة للإنسان فرداً كان او جماعة، والاعتراض قائم في اعتقاد وليم جيمس على عدم التناسب بين حركة العلم وحركة الفلسفة، فالأول يسير بخطى تقدمية، والفلسفة في مسارات راجعي.

ولكن جيمس يعتبر أن الأصل في الاعتراض قائم على تصور خاطئ: "... لأن العلوم ذاتها فروع من شجرة الفلسفة. وبقدر ما نجيب عن الاسئلة اجابة دقيقة، بقدر ما تعتبر هذه الإجابات علمية، وان ما يطلق عليه الناس اليوم فلسفة هو ما بقي من اسئلة ظلت دون ما اجابة. وفي هذه اللحظة ترى علمين، هما علم النفس وعلم الحياة، ينفصلان عن جذع الأم ويستقلان ويتخذان لهما جذورا مستقلة تجعل لكل منهما اختصاصه ان الفلسفة اعم، فهي لا تستطيع ان تتبع بالتفاصيل المحتشدة في أي علم من العلوم الخاصة."*

* فيلسوف امريكي [1910/1842] من مؤلفاته: البراجماتية، ارادة الاعتقاد...

* ينظر كتاب مدخل الى الفلسفة للمؤلف: محمد محمد قاسم، دار النهضة العربية بيروت، الطبعة الاولى 2001 بيروت ص:215

برتراند راسل* :

الأصل في القدح الموجه الى الفلسفة نابع من تصور ضيق وخاطئ لطبيعة النظرية الفلسفية، فالكثير يجد في نسبية الاجابة الفلسفية، و غياب اليقين في الفلسفة ضعفا في طبيعتها، مقارنة مع العلم ، ومع النص الديني الذي اكتسب عبر التاريخ قطعية و يقينية لا يمكن للفلسفة بلوغ بعضها منها، والفيلسوف برتراند راسل في النص التالي يكشف لنا عن هذه المسألة، حيث يرى: "إن قيمة الفلسفة، هي في الحقيقة، بما تكون عليه من عدم يقين بالذات، والانسان الذي لم ينهل من الفلسفة تكون حياته اسيرة احكام سابقة استمدها من المشاع ومما اخذ به اهل عصره وقومه، ومما نشأ في ذهنه من اراء لم يصل اليها بفضل عقل نير او نقد متميز، وبذلك يبدو له العالم محصورا واضحا جليا، ولا تثير فيه الاشياء العادية أي سؤال، وكل ما ليس مألوفا عارفا به فهو لا يأبه به اما حين يبدأ المرء يتفلسف فيكون على النقيض من ذلك.. فإذا كانت الفلسفة عاجزة ان تهدينا على وجه اليقين الى الجواب الصحيح عما تثيره من شكوك، فهي قادرة على ان توحى بالكثير من الصور التي توسع عقولنا وتحررها من عقال العرف والتقاليد.. وهي تنقضي على الثقة والاطمئنان المشوبين بالزهو والخيلاء لأولئك الذين لم يسلكوا دروب الشك المؤدي الى التحرر والاعتاق، وتزيد الرغبة في الاطلاع بما تبينه من اشياء قريبة منا في صور لكم نعتادها." ¹

* فيلسوف انجليزي: [1872-1970]

¹ برتراند راسل، مشكلات الفلسفة، ترجمة: سمير عبده، دار التكوين للنشر، سوريا الطبعة الاولى 2016 ص: 167

خاتمة

الفلسفة انتاج بشري يعكس الاصاله الانطولوجية للإنسان، فهي كمنهجية فكر في التفكير ، وانتاج للمعاني تعبير عن الهوية البشرية في عشق السيرورة، والحركة الدؤوبة نحو الافق النموذجي الذي وجد من اجله البشر، فإذا كان الاستخلاف هو الصورة الدينية للغايات الاخلاقية والمثالية التي نتغيهاها، فإن الفكر والتفكير والتفلسف هو السبيل الأمثل لبلوغ هذه الغايات، فبدون تفكير وتأمل وتدبر لن يصل الفرد لغاياته مهما كانت بنيتها التركيبية بسيطة كانت او معقدة، ونعتقد ان مشكلة المواطن العربي او المسلم مع الفلسفة تكمن في اصطلاح الكلمة التي حملت تاريخيا وثقافيا الكثير من الاعتبارات القيمة التي ارتبطت فيه الفلسفة بالضلال والكفر، والذي لازال يخيم في اللاشعور الجمعي للأفراد وللجماعة في المجتمع العربي والاسلامي.

ولهذا ننصح ابنائنا الطلبة والطالبات بالتمسك بحقهم في التفكير، والتشبث بتراثنا الأصيل الذي لا يكبل، ولا يقف امام حرية، وعلمهم تجاوز الخلفيات والرواسب الثقافية التي تسير الفكر، والتي تعمل بأسلوب خفي في توجيه الرأي والقرار.

تطبيقات

امتحان السداسي الأول [شعبة سنة أولى علوم اجتماعية] 2012

عالج موضوعا واحدا على الخيار

الموضوع الأول:

أجب بوضوح وبدقة عن الأسئلة التالية:

. ما هي الفلسفة؟ وماهي وظائفها؟

. ما الفرق بين مفهوم الفلسفة وبين تعريف الفلسفة. مع التعليل

. ما أهمية الفلسفة في نظرك؟

. وضح كيف تؤثر الفلسفة في العلوم وحدد بعض الخدمات التي تؤديها لها؟

الموضوع الثاني: النص

"لكي تولد الفلسفة أو تجدد نشأتها، لا بد من وجود علوم، ولربما كان هذا هو السبب في أن الفلسفة بالمعنى الدقيق لم تبدأ إلا مع (أفلاطون)، وقد أدى إلى ذلك وجود الرياضيات اليونانية، ثم قلب (ديكارت) هذه الفلسفة ، وكانت فيزياء (غاليلي) سبب ثورته الحديثة في الفلسفة، ثم عمل (كانط kant) على إعادة بناء صرح الفلسفة ، وذلك تحت تأثير (نيوتن)، ثم أعيدت صياغتها مع (هوسرل) تحت تأثير نظام البديهيات، واني ألاحظ دائما على نمط تجريبي أن (هيغل) لم يخطئ حين قال بأن الفلسفة تظهر في المساء بعد أن يكون العلم قد ولد في الفجر، وقد قطع زمن يوم طويل.."

لوي ألتوسير: لينين والفلسفة .

اكتب مقالا حول مضمون النص مبينا مايلي :

مقياس: مدخل إلى الفلسفة العامة

عالج موضوعا على الخيار:

الموضوع الأول :

1. هل يمكن تعريف الفلسفة ؟ مع التعليل .
2. قارن بين الفلسفة والعلم
3. اذكر في فقرة كافية خصوصيات المنهج الفلسفي
4. أين تكمن أهمية الفلسفة في نظرك
5. بين أهم القضايا الفلسفية التي ميزت البحث الفلسفي.

الموضوع الثاني :

هناك أمران يحتاج إليهما الفيلسوف خصوصا الأول : رعاية موهبة العقل ؛ و الثاني حسن استخدامها لبلوغ مختلف أنواع الغايات. وينبغي الجمع بينهما إذ من دون معارف لا يمكن أن يصبح المرء فيلسوفا ولكنها لا تكفي ما لم يوجد التناسق بين كل المعارف والخبرات بالإضافة إلى العلم بتوافقها مع الغايات القصوى للعقل الإنساني. وعموما من لا يستطيع ممارسة التفلسف ليس جديرا بأن يسمى فيلسوفا، غير أنه لا يمكننا أن نتعلم التفلسف إلا إذا قمنا بتدريب و استخدام عقلنا بأنفسنا. فكيف يمكن أن نتعلم الفلسفة بالمعنى الدقيق للكلمة و الحال أن كل مفكر يبني نظريته على أنقاض سابقتها و لم يصبح أي عمل فلسفي ثابتا ومن ثمة لا يمكن تعلم الفلسفة حقا لأنها لم توجد بعد و حتى لو افترضنا وجود إحدى الفلسفات فلن يكون بإمكان من يستعملها أن يدعي لنفسه صفة الفيلسوف لأن معرفته بها ستظل معرفة تاريخية من الناحية الذاتية بينما الأمر على خلاف في الرياضيات إذ بالإمكان تعلمها إلى حد ما لأن البراهين فيها على قدر من البدهة بحيث يمكن لنا تصديقها و يمكن لذلك أن نحفظ بها بوصفها منظومة يقينية وثابتة . أما الذي يريد تعلم الفلسفة فإنه على العكس من ذلك ينبغي أن ينظر إلى كل منظومة فلسفية باعتبارها تاريخ استخدام العقل و موضوعات يروض بواسطتها موهبته الفلسفية . و إذن فلكي نمارس التفكير بأنفسنا و نتفلسف ينبغي علينا أن نعني بالمنهج الذي نتبعه في استخدام عقلنا أكثر مما نعني بالأطروحات التي سيسمح لنا ذلك المنهج بإقرارها. ايمانويل كانت

اجب عن الأسئلة التالية :

- ماهي شروط الفيلسوف في نظر ايمانويل كانت .
- كيف نمارس الفلسفة ، ولماذا لا توجد فلسفة
- بين القصد من العبارة . التي تحتها خط
- ماهي الحكمة التي تستخلصها من العبارة الأخيرة

امتحان السداسي الأول: 2013

عالج موضوعا واحدا عل الخيار:

الموضوع الأول :

1. حدد الفرق بين التفلسف والفلسفة (5 نقاط)
2. علل العجز عن تعريف الفلسفة . (5 نقاط)
3. إذا كانت الفلسفة معرفة والعلم معرفة ، فما حجة التفرقة بينهما ؟ (5 نقاط)
4. بين بأمثلة العلاقة بين الفلسفة والعلوم (5 نقاط)

الموضوع الثاني :

النص :

".. إن الفلسفة يمكن أن تصل إلى كل إنسان، حتى الطفل في صورة خواطر بسيطة فعالة، ومع ذلك فإنضاج الفلسفة مهمة لا نهاية لها، تتجدد دونما انقطاع، وتتحقق في صورة حية حاضرة، هكذا بدت الفلسفة في أعمال كبار الفلاسفة و صغارهم، و طالما كان هنالك أناس فلن تخدم جذوة الوعي الفلسفي في أي صورة من صورها.

ليس في وسع الفلسفة أن تقاتل، وليس في وسعها أن تبرهن على وجودها، ولكن في وسعها فحسب أن تنتشر، فتنتقل من ذهن إلى آخر، وهي لن تقاوم إذا نبذت، وهي لا تنتصر إذا ما أصغى الإنسان إليها، فهي تعيش في تلك المنطقة التي يشترك فيها الجميع، في أعماق الإنسانية لكي تربط بين كل فرد وسائر أفراد المجتمع." كارل ياسبرز- مدخل الى الفلسفة.

امتحان السداسي الأول في مقياس:

مدخل الى الفلسفة العامة

عالجا موضوعا واحدا على الخيار:

الموضوع الأول: أجب عن كل سؤال بفقرة كافية:

1. هل يمكن تعريف الفلسفة؟ مع التعليل 5 نقاط
2. ما الانطولوجيا وما علاقتها بالعلم 5 نقاط
3. بين علاقة المعرفة بالابستمولوجيا 5 نقاط
4. بين بأمثلة مجالات الاكسيولوجيا (القيم) 5 نقاط

الموضوع الثاني: عالج النص من خلال الأسئلة الفرعية التي تصاحب النص.

النص:

".. إن الطالب الذي أنهى تعليمه المدرسي كان قد تعود على الحفظ، ويظن الآن وهو مقبل على تعلم الفلسفة أنه سيحفظها أيضا، ولكن هذا في واقع الأمر مستحيل. إن الأمر يقتضي أن يتعلم التفلسف إذ لكي تحفظ الفلسفة ينبغي أولا أن تكون هناك فلسفة قائمة بالذات، بحيث يصبح في وسعنا أن نقدم عنها كتابا ونقول: هاكم إنه علم ومعارف يقينية تدربوا على فهمه، واحفظوه ثم ابنوا عليه في ما بعد وستصبحون فلاسفة.

فبدل أن نعمل على تنمية المواهب الذهنية للناشئة التي وضعت في عهدتنا وإعدادها لبناء معرفة شخصية مستقبلية عند البلوغ نغشها بفلسفة نزع منها قد اكتملت بعد، وهي فلسفة يقترن بها وهم علم لا يساوي شيئا إلا لدى أوساط معينة لكنه فيما خلا ذلك فاقد للقيمة. إن الطريقة الأساس للتدريس في الفلسفة هي طريقة بحثية كما حددها بعض القدماء ZETIEN أي بحث عن الحقيقة.."

امانويل كانط

الأسئلة:

1. هل الفلسفة معرفة تعتمد الحفظ ام الفهم؟
2. ماالعلاقة بين المعرفة الجاهزة ، والحفظ
3. كيف يعتبر كانط تلقين الطلبة بمعارف جاهزة مجرد غش
4. ماهي الطريقة الانسب لتدريس الفلسفة عند كانط

مسؤول المقياس:

شريف الدين بن دويه

الاربعاء: 17 يناير 2017

قائمة المصادر والمراجع

1. التوحيدي، أبو حيان، الامتاع والمؤانسة، المكتبة العصرية، بيروت 2011.
2. الجابري، محمد عابد، مدخل الى فلسفة العلوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الخامسة، 2002
3. الجرجاني، الشريف، التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004
4. الجوزية، ابوقيم ، مفتاح دار السعادة، الإسكندرية 1979
5. الطويل، توفيق، الفلسفة الخلقية، دار النهضة العربية، مصر الطبعة الثانية 1967
6. ----- اسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة (د.ت)
7. الزاهي، نور الدين، الفلسفة واليومي مطبعة فضالة، الطبعة الاولى 1999
8. بدوي، عبد الرحمن مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الاولى 1975
9. راسل، برتراند مشكلات الفلسفة، ترجمة: سمير عبده، دار التكوين للنشر، سوريا ط:1 2016
10. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، ج 1 دار الكتاب اللبناني بيروت 1982
11. طالي، عمار، مدخل إلى عالم الفلسفة، دار القصة للنشر، الجزائر 2006
12. طه عبد الرحمن، المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي، بيروت 2012
13. -----، فقه الفلسفة، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى 1995
14. كولبه، ازفالد، المدخل الى الفلسفة، تع: ابو العلاء عفيفي، عالم الادب، الطبعة الاولى بيروت 2016
15. لالاند، اندريه، موسوعة لالاند الفلسفية، تع: خليل احمد خليل، عويدات، ط:2 بيروت، 2001
16. محمود زيدان، مناهج البحث الفلسفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1977
17. مدكور إبراهيم ، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر 1983
18. مكاوي، عبد الغفار ، لم الفلسفة؟ منشأة المعارف، الاسكندرية 1981
19. ميد، هنتر، الفلسفة انواعها ومشكلاتها، تر: فؤاد زكريا، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية 1975

20. نيتشه، فريدريك، الفلسفة في العصر المأساوي الاغريقي، تعريب سهيل القش، تقديم ميشال فوكو،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، 2005

21. هيدجر، مارتن الفلسفة، الهوية والذات، ترجمة: محمد مزيان، مراجعة محمد سبيلا، منشورات

الاختلاف، الطبعة الاولى، بيروت 2015

22. وعزيز، الطاهر، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي المغرب، الطبعة الاولى 1990

.23